

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة محمد خيضر بسكرة



كلية الآداب واللغات  
قسم الآداب واللغة العربية

# القضية الفلسطينية في رواية "جراح الصمت" لـ"مصطفى دالع"

مذكرة مقّمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية  
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتورة:

نزيهة زاغز

إعداد الطالبة:

هاجر بن عبة

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ

2015م/2016م

## شكرو عرفان

نحمد الله ونشكره على نعمة العقل والصحة التي لا تكون إلا منه.

أتقدم بالشكر والتقدير إلى الدكتورة المشرفة "نزيمه زاغز"  
على نصائحها القيمة وتوجيهاتها الحكيمة التي أنارت لي دروب  
هذا البحث وإلى كل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة  
هذا البحث وأغنوه بملاحظاتهم القيمة التي ستكون عوناً لي بإذن  
الله في سد فجواته حتى يرقى للمستوى الأفضل.  
وإلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد  
في إنجاز هذا العمل ولو بكلمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

❖ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٠١﴾

الإسراء: 01

"صدق الله العظيم"

حق ساق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد الأمين وعلى آله وصحبه والمؤمنين به إلى يوم الدين، أما بعد...

لم تكن القضية الفلسطينية قضية شعبها فقط، بل هي قضية كل العرب، فكانت في كل قلب وقلم، هي قضية طرحت بشتى الميادين، ونوقشت مع الآلاف والملايين من الأشخاص، جعلت من نفسها الشغل الشاغل لأغلب الكتاب، فكانت موضوع إبداعهم وسبب نجاحهم وتفوقهم، حيث عبروا عنها بأشكال فنية متعددة وصوروا المشاهد الدرامية والمذابح الوحشية التي ارتكبت ضد الشعب الفلسطيني.

وتعتبر الرواية أكثر من غيرها قدرة على التعبير عن القضايا القومية الكبرى لما فيها من مساحة لعرض الأفكار بطريقة مباشرة، فتكون أكثر تشويقاً. ومن بين الروايات التي عالجت القضية الفلسطينية رواية "جراح الصمت" للكاتب الجزائري **"مصطفى دالع"** والتي اتخذتها سبيلاً لي في دراستي.

ومن بين الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، الرغبة في معالجة هذه القضية المصيرية في الرواية، بحكم أن جلّ الدراسات حولها كانت في مجال الشعر، فأردت أن أكشف صداها في المجال الروائي.

ولأجل هذا طرح جملة من الإشكالات:

- ❖ كيف عالجت الرواية العربية القضية الفلسطينية؟ وهل نجح الروائي العربي في تصويرها؟
- ❖ كيف وظف **"مصطفى دالع"** هذه القضية في رواية **"جراح الصمت"**؟ وما هي الآليات التي وظفها؟

وقد جاءت دراستي لهذا الموضوع في مقدمة وفصلين: الفصل الأول المعنون **بالقضية الفلسطينية في الرواية العربية**، وتمثلت عناصره في: أدب القضية الفلسطينية بذكرى لأهم الخصائص التي ميزته، كما تناولت التنظير للفن الروائي في فلسطين وجاء فيه الموضوعات التي تطرقت إليها الرواية الفلسطينية، وكيف استطاعت نقل الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، لانتقل بعدها إلى الإنتاج الروائي في فلسطين، حيث قدمت مجموعة من الروايات الفلسطينية التي عالجت القضية، ثم تناولت القضية الفلسطينية في الرواية العربية وكيف صور الروائي العربي المأساة الفلسطينية في رواياته، وذكرت مجموعة من الروائيين العرب الذين كتبوا عنها، أما العنصر الأخير القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية، تطرقت فيه لأسباب اهتمام الكتاب الجزائريين بهذه القضية بذكرى لأبرز الروائيين الذين عالجوها في رواياتهم، وقد خصصت الرواية الجزائرية لأن موضوع دراستي في رواية جزائرية.

أما الفصل الثاني فهو موسوم بـ: **توظيف القضية الفلسطينية في رواية "جراح الصمت"**، وقسمته إلى خمسة عناصر، تحدثت في العنصر الأول عن آليات توظيف الأحداث باعتبارها العنصر الأهم في الخطاب الروائي، وفي العنصر الثاني تطرقت إلى الشخصية، بتعريفها وذكر أنواعها، وآليات توظيفها، أما العنصر الثالث فقد خصصته لآلية الزمن من حيث علاقته بترتيب الأحداث، والعنصر الرابع تحدثت فيه عن آليات توظيف المكان باعتباره أحد العناصر الفعالة في الرواية، أما العنصر الأخير خصصته لآلية الحوار، تطرقت لتعريفه وأنواعه، وكيف وظف الروائي القضية الفلسطينية من خلاله.

وأنهيت البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي تم التوصل إليها، وملحق يحتوي على: نبذة عن المؤلف، وملخص رواية "جراح الصمت"، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وقد استدعي البحث في هذه القضية الاشتغال على المنهج البنيوي، الذي كان سبيلا لدراسة الآليات الفنية للرواية وأثرها في تشكيل صورة القضية الفلسطينية في رواية "جراح الصمت".

وعبر هذه المسيرة كان زادنا مجموعة من المراجع أهمها: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية لـ: "حسام الخطيب"، وكتاب الرواية في الأدب الفلسطيني (1950-1975) لـ: "أحمد أبو مطر"، وكتاب جماليات التشكيل الروائي - دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان -، لـ: "محمد صابر عبيد" وسوسن البياتي".

ومن الصعوبات التي واجهتني في بحثي هذا: صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع التي تخص القضية الفلسطينية.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم مرة أخرى بعميق شكري وامتناني لأستاذتي المحترمة "نزيهة زاغز"، التي كانت عوناً لي في بحثي، ونورا يضيء الظلمة التي كانت تعترض طريقي وأتمنى أن أكون قد وفيت لتوجيهاتها وللمعرفة التي أمدتني بها، وإلى كل من أمدني بيد العون من قريب أو من بعيد دون استثناء.



# الفصل الأول

## القضية الفلسطينية في الرواية العربية

- ❖ أدب القضية الفلسطينية.
- ❖ التنظير للفن الروائي في فلسطين.
- ❖ الإنتاج الروائي في فلسطين.
- ❖ القضية الفلسطينية في الرواية العربية.
- ❖ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية.

تعتبر القضية الفلسطينية من أهم القضايا التي شغلت العالم العربي، وألهمت كتابه من المشرق إلى المغرب، حيث عبروا في كتاباتهم عن تألمهم وتعاطفهم مع الشعب الفلسطيني، وصوروا معاناته كأنهم يعيشونها، ومن هنا نأتي للتعريف بأدب القضية الفلسطينية، وكيف كانت بدايات الفن الروائي في فلسطين وكيف كان إنتاجهم الروائي رغم الظروف التي يعيشونها، بالإضافة إلى معالجتها في الرواية العربية والجزائرية.

### 1/ أدب القضية الفلسطينية:

أدب قضية من القضايا هو الأدب الذي يلتزم بهذه القضية، فيعرفها ويشرحها، ويدافع عن المؤمنين بها، ويعمل على تحقيق أهدافها، وهذا هو الأدب الذي نعنيه عندما نتحدث عن أدب القضية الفلسطينية شعره ونثره<sup>1</sup>، حيث نجد أن الكتابة في هذه الموضوعات القومية من أعرس الأمور عند الفنان أحفلها بمواطن الزلل، والأعمال الأدبية الناجحة في تلك الموضوعات قليلة إلى حد يستدعي النظر بالرغم من أنها تملأ وجدان كاتبنا وعقولهم.<sup>2</sup>

إنّ الأدب كما يعرف عنه أنه أداة للتعبير عن أمر ما، يؤديها ويدعمها ويسعى لترسيخ معالمها، فهذا ما يسعى إليه أدب القضية الفلسطينية، الذي يعدّ من أصعب ما يخوض فيه الكاتب وقليل ما ينجح في الوصول إلى المبتغى.

إنّ الأدب الفلسطيني لم يأخذ طابعه الخاص إلا مع بداية القرن العشرين، ولكن قبل هذه الفترة كان يصنف ضمن الأدب العربي العام، الذي شهد تراجعاً بدأ من القرن السادس عشر وحتى بداية القرن العشرين؛ ففي هذه الفترة لم يكن لفلسطين الاستقلال<sup>3</sup>

<sup>1</sup> مصطفى محمد السيوفي تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، ط1، مصر، 2008، ص207.

<sup>2</sup> عبد القادر القط: في الأدب العربي الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2001، ص193.

<sup>3</sup> ياسين كتّابي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، مجمع القاسمي، ط1، 2011، ص3.

السياسي أو نوعاً من السيادة الذاتية، فضلاً عن اللغة الرسمية كانت التركية، لذا بدأت تظهر المشاعر الفلسطينية لتأكيد هويتها أدباً وسياسة، ولم يكن التعليم على أحسن أحوال بسبب قلة المدارس والمعاهد التعليمية، فضلاً عن فرض الرقابة على الكتب والمنشورات، وشعر الفلسطينيون أنهم خسروا الثقافة والأرض، وهذا ما غذى لديهم الشعور القومي والوطني برز ذلك من خلال كتاباتهم وأشعارهم التي اعتمدت على الأساليب القديمة وللغة الفصحى<sup>1</sup>، والبساطة العميقة البعيدة عن العاطفة المسرفة، والنبرة العالية التي تتجلى في أسلوب الكاتب بوجه عام، فلا يعتمد على العبارات الحادة والجمل الخطابية المألوفة في مثل هذا المقام؛ بل يتخذ الأسلوب وسيلة لبناء مواقف إنسانية تهز القارئ وتذكي مشاعره نحو القضية.<sup>2</sup>

يعتبر الأدب الفلسطيني، الأدب العربي الذي أبدعه أبناء الشعب الفلسطيني داخل وخارج الوطن، يختص بقضيته المصيرية، فهو يمثل ثروة أدبية رغم سياسة التجهيل التي كان يمارسها الاضطهاد الصهيوني، ومحاولة طمس شخصيته وثقافته العربية، فكان هذا بالنسبة لهم كدافع أساسي للكتابة متحدين كل الظروف.

وعلى الرغم من كل ذلك، وقف الشعب الفلسطيني على قدميه، واستعاد قوته وورادته وعزيمته من أمجاد ماضيه وأعماق تراثه وتاريخ أجداده، وقد كان الأدب خير زاد يعينه في تحريك الضمائر المتخاذلة، يبيث فيه روح التحدي في وجه الأخطار المصيرية.<sup>3</sup>

وانقسم الأدب الفلسطيني إلى قسمين؛ القسم الأول يدعى بأدب قبل النكبة والثاني يدعى بأدب بعد النكبة.

<sup>1</sup> ياسين كتابي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص3.

<sup>2</sup> عبد القادر القط: في الأدب العربي الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2001، ص193.

<sup>3</sup> مصطفى محمد السيوفي تاريخ الأدب العربي الحديث، ص236.

فالأدب قبل كارثة 1948 في فلسطين يشكل رافداً هاماً في تيار الأدب العربي، متأثراً بالأقلام المصرية واللبنانية والسورية، وكان الأدباء الفلسطينيون البارزون يدينون بشهرتهم للعواصم العربية التي كانت تفتح لهم صدورهم، بعد أن أسهمت عوامل عديدة أهمها الاحتلال البريطاني منذ العشرينيات في حرمان فلسطين أدبياً من المركز الذي كان من الممكن أن تتمتع به<sup>1</sup>، فكانت أغراض الشعر التي تدور كلها حول الحرية والتنبؤ بخطر الاستعمار حيث سادت نغمة الحزن والانكسار على أشعارهم في هذه الفترة بالدعوة إلى النضال الوطني، وتصوير مناظر الدمار والخراب الذي خلفه الاحتلال الأوروبي<sup>2</sup> وهكذا فقد خصبت هذه المرحلة بالشعر وطغت عليها الملاحظات الشعرية والأناشيد الوطنية، وظهر رافد جديد من الشعر يميل إلى التصوف الذي تغلب عليه مسحة من الألم الممزوج باليأس حيناً وبالتأمل الحزين حيناً آخر، في حين نجد محاولات تعدّ على الأصابع في مجال النثر.<sup>3</sup>

فجد أن أدباء هذه المرحلة متأثرين بأدب الدول العربية الأخرى، وكانت غلبة الشعر على النثر كونه أقرب إلى النفوس، ولأهميته البالغة عند العرب منذ القديم، وكان موضوع الشعراء يدور حول الاحتلال البريطاني ومخلفاته.

أما عن أدب فلسطين بعد النكبة، فحدث تطور نوعي بارز في طبيعته، وظهر ما يدعى بأدب المنفى أو أدب اللجوء، نتيجة طرد الفلسطينيين من ديارهم، حيث توجهوا إلى الأقطار العربية المجاورة ليعيشوا لاجئين على أمل العودة إلى ديارهم، فقد هبّ الشعراء والكتاب لتمجيد الجهاد، ولوم زعماء البلاد وقادتها على تخاذلهم وتفريق كلمتهم<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر: عبد القادر القط: في الأدب العربي الحديث، ص 209/207.

<sup>2</sup> شكري عزيز الماضي وآخرون: معالم الحياة الأدبية في فلسطين والأردن، دار فارس النشر والتوزيع، ط1، الأردن 2009، ص 110.

<sup>3</sup> ينظر: مصطفى محمد السيوفي: تاريخ الأدب العربي الحديث، ص 216.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 230.

فكان أدبهم يفيض بالألم والحزن، وعلى الرغم من تعرضهم لأقصى أنواع الظلم والتعذيب والرقابة والسجن فقد عمقت مقاومتهم للمحتلين اليهود الإحساس بقضيتهم والارتفاع بها إلى أعلى المستويات رافضين أي لون من ألوان الذل والقمع والانحناء.<sup>1</sup>

كانت هذه المرحلة بمثابة حياة جديدة للأدب الفلسطيني، حيث تنوع فيها الإنتاج الأدبي بين الشعر والنثر وظهرت فنون نثرية جديدة كالقصة القصيرة والمسرحية والرواية وغيرها وكان شعارهم الوحيد "القتال من أجل الوطن واسترجاع السيادة الوطنية".

إنّ أدب المقاومة في فلسطين المحتلة قد ربط ربطاً محكماً بين المسألة الاجتماعية والسياسية، واعتبرهما طرفين من صيغة لا بدّ من تلاحمهما لتقوم بمهمة المقاومة. وقد مضى الأدب الفلسطيني إلى أبعد من هذا، حين أدرك في وقت مبكر الترابط العضوي بين قضية مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وبين قضايا التحرر في البلاد العربية<sup>2</sup> فكان موضوعه الرئيس هو القضية الفلسطينية وتداعياتها وتفرعاتها، وفضاءاتها التي أثرت في كل مناحي الحياة الواقعية والاجتماعية والسياسية والثقافية لها.<sup>3</sup>

فكان الأدب الفلسطيني مستمداً من الواقع، معبراً عنه بتعبير حي، فلم يكتف بواقعه فقط، بل تجاوزه إلى واقع الدول العربية الأخرى. فهو بطريقة أو بأخرى يعتبر أدب واقعي.

ونجد على صعيد القصة والرواية تخلفاً، وذلك من حيث مستوى الأداء الفني والانتشار والكم مقارنة بالحركة الشعرية، فهي في الغالب تشكو من تصدع فني كبير<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مصطفى محمد السيوفي: تاريخ الأدب العربي الحديث، ص230.

<sup>2</sup> غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت لبنان، 1968، ص45.

<sup>3</sup> شكري عزيز الماضي وآخرون: معالم الحياة الأدبية في فلسطين والأردن، دار فارس النشر والتوزيع، ط1، الأردن

2009، ص115.

<sup>4</sup> المرجع السابق: غسان كنفاني، ص53.

وعجزها عن الوصول إلى المستوى الذي وصل إليه الشعر في فلسطين يعود فقط إلى أن الشعر وسيلة فنية أكثر رسوخا وأكثر قدرة على الانتشار، وملائمة لهذا الغرض فنيا.<sup>1</sup> وفي هذا السياق يقول "مصطفى عبد الغني": «رغم هيمنة الشعر على الساحة الفلسطينية، نظرا لأهميته التاريخية عندنا، تظل الرواية أكثر أهمية منه فهي تحمل خطابا متكاملا أكثر من الشعر، وعمقا زمنيا لحركة الحدث، وعمقا مركبا من حيث التعبير عن الذات».<sup>2</sup>

فهو يؤكد هنا على الأهمية الكبرى التي تحتلها الرواية الفلسطينية، بالرغم من تخلفها الفني إلا أنها أكثر توسعا وشمولا من الشعر.

ويضيف "شكري عزيز الماضي" «أن الرواية تسعى للتعبير عن العلاقات الاجتماعية القائمة، أو الإسهام في خلق علاقات جديدة، وأنها تصدر من وعي جمالي يتخطى حدود الوعي السائد، ويتجاوزها إلى آفاق جديدة، ومهمتها تتمثل في تجسيد رؤية فنية».<sup>3</sup>

فالرواية موضوعها اجتماعي، تساهم في إبداع علاقات اجتماعية جديدة، وتتجاوز الواقع السائد، بإعادة تصويره بطريقة جديدة، وتكمن مهمتها في تفسير العالم تفسيراً فنياً.

يرى "حسام الخطيب" أن الأدب الفلسطيني "نتج عن التزام ذاتي داخلي نابع من وجدان الأديب وانفعاله بأحداث النكبة، واختلطت فيه العوامل الوجدانية والوطنية والإنسانية والاجتماعية لتكسبه أبعاداً متداخلة متشابكة وترفعه إلى صعيد عالمي، ولعلّ جميع الأدباء الذين تحدثوا عن فلسطين بشعرهم أو نثرهم صدروا عن مشاعر صادقة<sup>4</sup>

<sup>1</sup> غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968)، ص 54.

<sup>2</sup> مصطفى عبد الغني: نقد الذات في الرواية الفلسطينية، سينا للنشر، ط1، مصر، 1993، ص 8.

<sup>3</sup> شكري عزيز الماضي وآخرون: معالم الحياة الأدبية في فلسطين والأردن، ص 16.

<sup>4</sup> حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، منظمة التحرير الفلسطينية، ط1، تونس، 1990، ص 79.

حقيقية، ونفوس متفاعلة مع النكبة؛ مما يطبع أدب النكبة بطابع إنساني ناتج عن إنسانية القضية ذاتها".<sup>1</sup>

إنّ أدب النكبة نوع فريد من الالتزام الذاتي، فهو ينبثق من مشاعر وأحاسيس صادقة متحسرة على وطنها الذي سلب منها، والظلم والتهديد واللاإستقرار الذي كانت تعيشه فهو بمثابة تصوير للواقع المعيش.

وأورد "مصطفى محمد السيوفي" جملة من الخصائص لأدب القضية الفلسطينية أهمها:<sup>2</sup>

1/ أن أدب القضية الفلسطينية، ولاسيما في الأرض المحتلة، لم يعد بكاءً ولا نوحاً ولا تعبيراً عن يأس، ولكنه إشراق دائم.

2/ إن خير ما يتسم به أدب القضية الفلسطينية وهج التجربة، فهذه التجارب عرضت على هؤلاء الأدباء ثقافة الكتابة، وأعانتهم على أن يغرسوا في دروب الفن العربي أصولاً لمراحل جديدة.

3/ تصويره لمأساة الشعب النازح والمقيم بمداد من دماء الكتاب.

4/ يمتاز هذا الأدب بملامحه التصويرية التي تؤمن بالشكل الجديد، وتمارسه وتتفعل به على أحسن صورة وأجمل وجه.

5/ يمتاز بدفق الألم الناجم عن الاحتلال والتشريد والجوع والقمع، فهو أدب يعكس صدق الإحساس لدى أصحابه بوضوح، ويظهر إحساسهم وتجاوبهم مع شعبهم، وهو يرسم

<sup>1</sup> حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، ص 79.

<sup>2</sup> مصطفى محمد السيوفي: تاريخ الأدب العربي الحديث، ص 246/245.

لوحات رائعة لما يعانيه الإنسان العربي من هموم في الأرض.

16 / أن الأديب في الأرض المحتلة فنان واقعي يلتحم بما يعبر عنه التحاما لا انفكاك بعده، وهو ينهل من تراثه دونما إخلال بالعمل الفني ودون تقليد.

17 / أدب زاخر بالحياة، سجّل فيه أصحابه تجاربهم الشخصية، وأحداث شعوبهم من زوايا متعددة، وجعلوا منها عالما كبيرا مليئا بالمآسي والخواطر والغضب والأمل الباعث على الصمود، وقد نقلوا كل ذلك بالصور والإيحاء، بعد أن غاصوا في أعماق النفس الإنسانية باحثين عن أجمل ما فيها وأخلده من مشاعر الألم والأمل وحب الأرض والحياة.<sup>1</sup>

من هنا نستنتج أن الأدب الفلسطيني كان مرآة عاكسة لشعبه، حيث كانت بداياته في القرن العشرين، وكان موضوعه الأساس قضيته المصيرية، ونجده مرّ بمرحلتين مرحلة ما قبل النكبة التي استولى فيها الشعر على النثر، ومرحلة ما بعد النكبة التي عرف فيها الأدب نقلة نوعية إلى عالم الرواية، وكان أدبا واقعيا بحثا مصورا لواقعه وواقع شعبه.

<sup>1</sup> مصطفى محمد السيوفي: تاريخ الأدب العربي الحديث، ص 247.



2/التنظير للفن الروائي في فلسطين:

تشير الدراسات إلى الوعي المبكر للمبدع الفلسطيني بأهمية الرواية ودورها وهذا ما نجده في مقدمة المجموعة القصصية "مسارح الأذهان" للأديب "خليل بيدس" حيث يقول: « لا يجهل أحد ما للروايات من الشأن الخطير والمقاوم الرفيع بين سائر كتب الأدب عند جميع الأمم، فهي في أعظم أركان المدينة، وفي مقدمة المطبوعات انتشارا وتداولاً، وأشدّها رسوخاً في النفس والقلوب، وأثبتها أثراً في الأخلاق والعادات وأعظمها عاملاً في البناء والهدم، لأنّ فيها تمثيلاً لمظاهر الحياة وصورها من خير وشر، وفضيلة ورذيلة، وعدل وجور، وصدق وكذب... وفيها وصف أحوال الأمم عبر الزمان وحوادث الحب والغرام، والحرب والسلام».<sup>1</sup>

فهنا "بيدس" أبدى رأيه في فن الرواية، وأشار إلى أهمية وعظمة شأن الرواية الفلسطينية، إذ يميزها عن سائر الفنون الأدبية الأخرى، وذلك لما تحويه تلك الروايات من صدق الأثر الذي تتركه في ذهن قارئها، فهي إن صحّ القول: تجسيد للواقع بكل آلامه وآماله وأحزانه ووقائعه.

وفي حديثه عن صنف الناس الذين يكتب لهم الروائي، وعن سبب إقبال على قراءتها يقول: « الروائي يكتب للعامة، وهم السواد الأعظم من كل أمة، يكتب للنفوس الجائرة والقلوب المتألّمة، يكتب للنفوس الجائعة، والقلوب الضمأى. والعامة يميلون إلى الرواية لأنّها كتاباتهم ورفيقهم وعشيرتهم، وهي أجمل ما يتلهون به في ساعات فراغهم... وأعذب مورد يستمدون منه البصائر».<sup>2</sup>

<sup>1</sup> خليل بيدس: مسارح الأذهان "مجموعة أدبية فنية روائية في حقيقة الحياة"، المطبعة العصرية، د. ط، مصر 1924، ص 9.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 11.

فالروائي في رأيه يكتب لعامة الناس، حيث نجده يخصصهم بجملة من الصفات بأنهم الأغلبية من كل أمة، ذوي النفوس الحائرة الجائعة، والقلوب المشتاقة الحزينة، ويرجع سبب توجه هؤلاء الناس إلى الرواية؛ أنهم يجدون فيها الملجأ الوحيد لتفريغ همومهم وأحزانهم وآلامهم، ولأنهم يجدون فيها السبيل الوحيد في أوقات فراغهم.

أما من حيث النشأة؛ فنجد الرواية العربية الفلسطينية نشأت شأن مثيلاتها في أقطار الوطن العربي الأخرى، في أحضان الصحافة، وعبر الترجمة التي كانت مزدهرة إلى حد كبير في ذلك الجزء من الجغرافية العربية، بسبب تعرضه للغزو الأجنبي المتعدد الأشكال والجنسيات، وبسبب الإرساليات التبشيرية الكثيرة التي عرفت الأديباء الفلسطينيين إلى ثقافات شعوبها، وفتحت أعينهم على روافد جديدة لأدبهم آنذاك.<sup>1</sup>

فكانت نشأة الرواية الفلسطينية مثل غيرها، عن طريق الصحافة في الجرائد والمجلات وعن طريق الترجمة، وذلك بترجمة الروايات من اللغة الأجنبية إلى العربية، إضافة إلى تبادل الثقافات التي يساهم فيها الاستعمار.

وعلى الرغم من أن ترجمات "خليل بيدس" - الذي يعد من أوائل الرواد في هذا المجال - لم تكن وافية للنصوص الروائية كما هي في الأصل؛ إلا أنها نهضت بمهمة الكشف المبكر عن الدور الذي يؤديه فن الرواية في الحياة والمجتمع، وتجدر بنا الإشارة هنا إلى جهود "أحمد شاكر الكرمي" التي مهّدت الطريق لتطور فن الرواية في فلسطين حيث ترجم في جريدته "الميزان" العديد من الروايات الإنجليزية، كما لا ننسى "جميل البحري" الذي قام بدور كبير وواسع في مجال العمل الروائي، إلا أن أغلب جهوده<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني (1950-1975)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان 1980، ص26.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص28.

ضاعت ولم يبق لها أثر؛ فهذه الترجمات جميعها اتّسمت بتصرف أصحابها في النصوص المترجمة على هواهم بالزيادة والنقصان، والحذف والتغيير، وأحياناً إدخال الأبيات الشعرية.<sup>1</sup>

فعلى مدى أهمية الترجمة في نشأة الرواية الفلسطينية، إلا أنها لم تكن حرفية صادقة بل بتصرف المترجمين في هذه الروايات كما يشاءون، أمثال "خليل بيدس" و"جميل البحري".

وينطلق "جبرا إبراهيم جبرا" من فكرة "أن التأثر بالروائيين الغربيين أمر لا مفرّ منه في مجال الرواية، فيقول:

« لن يزعم روائي مهما كان أصيلاً، أنه ابتدع أسلوبه من الصفر، أو أنه لم ينهل من ينابيع هؤلاء الصانعين المهرة، ولكن الشيء الذي يبقى دائماً، عندما يحذق الروائي الطرق الأسلوبية كلها، هو ذلك الشيء المتميز...، فهيكله الأسلوبية في خاتمة المطاف لن ينهض على قدميه إلا إذا ملأه بأسلوبه، وقدرته على استدراج الأحاسيس والصور، وذلك بواسطة ما ينتهي وما يبدع من طرائق...»<sup>2</sup>.

من خلال هذه المقولة نستنتج أن "جبرا إبراهيم جبرا" يجسد فكرة التأثر بالغرب باعتبار فنّ الرواية فنّ جديد في الأدب العربي، لهذا لا بدّ للروائي أن يأخذ من الغربيين إلا أنه يؤكد على ضرورة إتيانه بأساليب جديدة، وترك بصمته الخاصة في ذلك النص وإبداع طرائق جديدة يعرّف فيها عمّا يختلج في ذاته من أفكار ومشاعر وصور.

<sup>1</sup> أحمد أبو مطر: الرواية في الأدب الفلسطيني (1950-1975)، ص28.

<sup>2</sup> ماجدة حمود: النقد الفلسطيني في الشتات، مؤسسة عيال للدراسات والنشر، ط1، دمشق، سوريا، 1992، 57/56.

تخلّفت "فلسطين" في مجال الرواية، كما تخلّفت معظم الأقطار العربية باستثناء "مصر" و"لبنان"، وإذا كنا نؤرخ للرواية العربية في عام 1914 بظهور رواية زينب لـ: "محمد حسين هيكل"، فإن الرواية في "فلسطين" ظهرت حوالي 1937 وإن كانت هناك محاولات سابقة مبكرة لدى "خليل بيدس" في روايته "الوارث" التي كتب على غلافها الرواية الفلسطينية الأولى سنة 1920، بالإضافة إلى رواية "الضحية" التي نشرت في مجلة "النفائس" باسم مستعار (ي) سنة 1912. ونرجع هذا التأخر إلى أن الرواية من الأشكال المستحدثة في الأدب العربي، وبذلك فهي بحاجة إلى بعض الوقت حتى تنمو وتستطيع استيعاب الموضوع المحلي والتجربة الساخنة لذا فإن المحاولات الأولى التي عالجت الموضوعات الوطنية والاجتماعية والأخلاقية نسميها قصصاً مجازاً؛ فقد كانت تذوب تحت لهب الموضوع الخاص، ولم يكن لها شكل جدران فنية كافية لاعتبارها رواية.<sup>1</sup> وبالتالي فالروايات التي كتبت قبل عام 1937 مجرد محاولات فقط نشرت في الجرائد والمجلات ولم ترق إلى المستوى الفني للرواية.

ونجد أن الرواية الفلسطينية واكبت القضية المركزية للشعب الفلسطيني منذ النكبة التي شردته في مشارق الأرض ومغاربها، وألقت به في وادي الحزن العميق، ليعيش في خيام البؤس والضياع والمنفى والشتات، حيث سجّلت هذه الأحداث في فصول المذبحة بكلمات نازفة، وحروف مهمشة، وجمل مبعثرة، ولغة مثقلة بالصور الموجعة والمشاهد الأليمة التي تشبه إلى حد كبير ما ارتكبه الإنسانية من جرائم بشعة في العصر الحديث خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر: حسام الخطيب، ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، ص55.

<sup>2</sup> حسين محمد حسين الصليبي: الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والنقد والبلاغة، إشراف يوسف موسى رزقة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2008، ص31.

فالرواية الفلسطينية حاولت تصوير النكبة، والتعبير عن آلام وأحزان الشعب الفلسطيني، الذي دمر الاحتلال الصهيوني حياته وحولها إلى جحيم وشرده، حيث جعله يترك وطنه وأهله هرباً من الموت المحقق باحثاً عن السلامة والأمان.

جسدت الرواية الفلسطينية عالماً أدبياً خيالياً لعالم حقيقي واقعي، كان ماثلاً قبل النكبة وبعدها، ثم سارت بعد ذلك تحت الخطى وتجوب الساحات والمسافات على طول المدى، وترصد الواقع وما فيه من حكايات وأحداث، تسرد كل ذلك في محاولة جادة لربط الماضي بالحاضر والمستقبل، ونجحت في مهمتها السابقة حيث قدمت لنا تاريخاً مفصلاً لما حدث في فلسطين، وما وقع على أراضيها من حروب وهزائم متكررة، وهذا لا يعني أنها تحولت إلى وثيقة تاريخية مليئة بالأحداث والتواريخ والشخصيات، وما لهم من دور في صناعة تلك الأحداث ذلك لأن الروائي الفلسطيني قد مضى في أغوار الماضي يسير خلال القرى المدمّرة، والمدن العامرة وما بينها من مرتفعات ومنحدرات وما فيها من حقول وبساتين وورود وأنهار، ويسمع صوت المآذن<sup>1</sup>، وزقزقة العصافير فهو يصور ذلك مستعينا بما لديه من لغة عطرية يذوب فيها الصدق والعشق والشوق لبلاده الحبيبة، فيرسم الأحداث من أرض الواقع، وينحتها على جبل الذاكرة ثم ينفث فيها جزءاً من روحه وأحاسيسه مستعينا بخياله ووجدانه، فيبعثها للأجيال القادمة صورة حية نابضة، تماثل إلى حد كبير ما كانت عليه يوم وقوعها.<sup>2</sup>

وهذا يعني أن الرواية الفلسطينية بمثابة تجسيد للواقع المعيش، فهي ترصد الأحداث والمجازر التي قام بها العدو الصهيوني على الإنسان والأرض في فلسطين حيث يصورها الروائي بطريقته الخاصة بلغة مميزة، وأسلوب سلس واضح خالي من التكلف والغريب مستعينا بخياله وأحاسيسه ومشاعره.

<sup>1</sup> حسين محمد حسين الصليبي: الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة، ص 31.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 32.

ويؤكد "حسين الصليبي" على فكرة "أن الرواية الفلسطينية ألت دورها، ونجحت في أن تكون مرآة عاكسة للماضي، وسجلا جمعياً للشعب الفلسطيني المنكوب، يمكن للأجيال اللاحقة من قراءة الماضي ومعرفته من أجل فهم الحاضر، فهي بهذه الطريقة قدمت لهذا الشعب الرؤية الكاملة والفهم العميق الذي يساعده في التعامل مع الواقع الراهن.<sup>1</sup>

إن الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، تعدّ حافزاً قوياً للروائي ليكتب ويعبر عن همومه وهموم شعبه، لذا عمد في كتاباته على الواقع، يصور النكبة والضياع والتشرد في رواياته، منطلقاً من الماضي بما فيه من آلام وجراح وبكاء لفهم الحاضر أو الواقع المعيش.

من هنا نجد أن الرواية الفلسطينية، منذ بداية الستينيات تنحو منحى واقعي واضحاً إذ ألت عوامل كثيرة إلى تبلور هذا الاتجاه لدى الكثير من الكتاب، ونذكر من تلك العوامل، سيادة بعض الأفكار والمفاهيم الجديدة، وانطلاقة حركة التحرر الفلسطيني مما ألى إلى سيادة الاتجاه الواقعي على مجمل النتاج الروائي، حيث ظهرت على الساحة الأدبية بعض الأعمال الروائية ذات الصبغة الواقعية التي تناولت القضية المصيرية بعمق، ورؤية واعية متأنية، وبتقنية فنية متطورة، كما هو الأمر في روايات "غسان كنفاني". وبما أن الواقعية تلقي على الكاتب مهمة إنسانية يتطلب النهوض بها معرفة عميقة بقوانين الحياة والتطور، وفهماً صحيحاً للصفة التاريخية للحوادث وموهبة قادرة على استشفاف المشاعر الإنسانية، واكتشاف الأفكار التي تعمل في أعماق المجتمع، فإن الروائي الفلسطيني كان على قدر المسؤولية في استيعاب الواقع<sup>2</sup> ورصد حركته وتحولاته، فهو على الرغم من انشغاله بقضيته الوطنية، لم ينطو على ذاته

<sup>1</sup> حسين محمد حسين الصليبي: الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة، ص 32.

<sup>2</sup> حسان رشاد السامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، ط 1، سوريا، 1998، ص 16.

ولم ينغلق على عالمه وهمومه، بل تجاوز ذلك إلى الاهتمام بقضايا الإنسان وصراعه مع ظروفه القاسية، سواء كان رجلاً أم امرأة<sup>1</sup>، فالرواية تكتسب قيمة وأهمية بقدر ما تطرح من قضايا فكرية وإنسانية، وتحظى بالعمق والطفرة، وتبحث على التساؤل والتأمل والحوار.<sup>2</sup>

بما أن الرواية الفلسطينية قامت بتصوير الواقع، واستمدت موضوعاتها منه، فإنَّ الروائي اتَّخذ الاتجاه الواقعي سبيلاً له في كتاباته عن هذه القضية المصيرية التي تمسَّ مجتمعه؛ فهو لم يكتف بالكتابة عن قضيته فحسب، بل تجاوز ذلك إلى الكتابة عن موضوعات وقضايا الأمة العربية.

لقد صرَّف ثلاثة كتاب فلسطينيين جهودهم لتتبع مراحل التاريخ الحديث لشعبهم وجوانبه المتعددة، كل منهم بأسلوبه المميز، هم: "عسان كنفاني" الذي ارتبط اسمه بالالتزام بقضية الفلسطينيين ارتباطاً وثيقاً<sup>3</sup>، حيث نجحت أعماله في تصوير ضروب الحرمان والآلام في المخيمات وما ينتج عنها من سخط وإحساس بالإحباط، والروائي "جبرا إبراهيم جبرا" حيث كانت أعماله الروائية منصبة على مصير الفلسطينيين في المنفى، وكانت شخصيات رواياته مجلوبة من دوائر المثقفين؛ من كتاب وأطباء، وفنانين ومفكرين سياسيين، وأشباههم، فرواياته مليئة بمناقشات لأعمال أدبية، وتشكيلية وفلسفية. أما الروائي "إميل حبيبي" الذي عني في أعماله بحياة الفلسطينيين الذين يعيشون مثله هو في إسرائيل.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> حسان رشاد السامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، ص 16.

<sup>2</sup> سامي سويدان: فضاءات السرد ومدارات التخيل-الحرب والقضية والهوية-في الرواية العربية، دار الآداب، ط 1 لبنان، 2006، ص 12/11.

<sup>3</sup> عبد العزيز السبيل وآخرون: الأدب العربي الحديث-تاريخ كيمبرج للأدب العربي-، النادي الأدبي الثقافي، ط 1 المملكة العربية السعودية، 2002، ص 289/288.

<sup>4</sup> المرجع نفسه: ص 291/290.

فقد كان هؤلاء الثلاثة يجمعهم موضوع واحد في كتاباتهم، هو المأساة الفلسطينية وتصوير معاناة الشعب الفلسطيني خارج وطنه.

من هنا نجد أن الرواية الفلسطينية كانت بمثابة مرآة عاكسة للمجتمع أو للواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني حيث كانت نشأتها واقعية في وسط الصحافة والترجمة وبداياتها تعود إلى عام "1937"، وموضوعها الأساس "القضية الفلسطينية".



### 3/ الإنتاج الروائي في فلسطين:

حفل الأدب الفلسطيني بكوكبة من الأدباء الذين وظفوا السرد في إبراز مسائل اجتماعية وسياسية وفكرية، تتعلق بالإنسان الفلسطيني وقضاياها الدينية والقومية والوطنية منذ عصر النهضة ونهايات الحقبة التركية، والنكبة وما تلاها، وإذا كانت الترجمة السردية من الآداب الأخرى خاصة الروسية والفرنسية والانجليزية هي السمة الغالبة على بدايات هذا السرد، فقد كان للتأليف حظ وافر عند أولئك المترجمين.<sup>1</sup> فبالإضافة إلى ترجمة الروايات من الآداب الغربية إلى العربية، كانت هناك روايات من إبداعهم عالجوا فيها قضاياهم وقضايا الوطن العربي.

وفي وضع كالوضع الفلسطيني مبتلى بالشتات واللاإستقرار، ليس من السهل على الباحث أن يقدم ببلوغرافيا دقيقة للإنتاج قريب العهد، بل حتى الإنتاج الأقدم مازال مستعصيا على الحصر<sup>2</sup>، حيث تشير الدراسة الإحصائية لعدد من المحاولات الروائية عام 1920 إلى ثلاث روايات "الوارث" لـ"خليل بيدس"، "ظلم الوالدين" لـ"يوحنا دكرت" "الحياة بعد الموت" لـ"اسكندر الخوري"، وتلك الروايات الثلاث لم يتيسر لأحد من الدارسين لإطّلاع عليها سوى ما علق بذاكرة قرائها الأوائل، بسبب عدم توفرها في المكتبة العربية من جهة، وعدم وجود كتابات نقدية عنها في مرحلة صدورها أو ما بعدها من جهة ثانية<sup>3</sup>. وفي عام 1943 ظهرت رواية "مذكرات دجاجة"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عمر سعيد عبد الجبار القزك: الشعراء الروائيون في فلسطين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة العربية وآدابها، إشراف: د. عادل الأسطة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2014، ص 87.

<sup>2</sup> ينظر: حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، ص 302.

<sup>3</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون - قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية -، اتحاد الكتاب العرب، ط 1، دمشق سوريا، 2004، ص 17.

<sup>4</sup> عبد العزيز السبيل وآخرون: الأدب العربي الحديث - تاريخ كيمبرج للأدب العربي -، ص 291.

لـ"إسحاق موسى الحسيني" والتي تشكل منعطفًا مهمًا في تاريخ الرواية الفلسطينية بوصفها النص الروائي الوحيد من أعمال تلك المرحلة، والذي حقق رواجًا استثنائيًا وقت صدوره حسب رأي "فاروق وادي"<sup>1</sup>، وفي عام 1946 أصدر "محمد العدناني" رواية بعنوان "في السرير"، وفي عام 1947 أصدر "اسكندر الخوري" رواية بعنوان "في الصميم" وأصدر "عارف العارف" رواية "مرقص العميان"؛ فهذه الروايات الصادرة قبل عام النكبة 1948 كلت سوى محاولات سردية مبعثرة، لم تستطع أن تشكل إرثًا وجذرًا تتنامى منهما المحاولات للرواية الفلسطينية في السنوات اللاحقة، بسبب عدم قدرة كتّابها على الإمساك بأدوات الكتابة الروائية<sup>2</sup>، وبعد النكبة وتحديدًا عام 1950 نجد عدد الروايات الصادرة قد بلغ "38" رواية فقط، ويلاحظ على هذا الإنتاج أنه متقطع، فهناك قفزات زمنية عيدة بين صدور رواية وأخرى، وأن معظم أسماء الكتّاب لا تكرر في المراحل الأخرى، كما يلاحظ عدم وجود أي كاتبة في حقل الرواية، ويعزى سبب قلّة هذا الإنتاج - إضافة إلى جِدّة فنّ الرواية وصعوبته - إلى ضعف القاعدة المادية التي تتطلبها الرواية من مثل المطبعة والمدارس والمكتبات والصحافة، وتحولات اجتماعية اقتصادية تمس بنية المجتمع، ووجود متلقي<sup>3</sup>.

وفي الوقت الذي يشير فيه إلى تصاعد ملحوظ في عجلة الرواية بعد عام "1950" ظهرت أسماء عديدة أمثال: إبراهيم موسى، فهد أبو خضرة، سليم خوري، توفيق معمر توفيق فياض، وغيرهم، إلا أن هذه الفترة لم تكسّر سوى اسم واحد هو "غسان كنفاني" الذي قدّم عملين متميزين: "رجال في الشمس" عام 1963، ثم "ما تبقى لكم" عام 1966.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز السبيل وآخرون: الأدب العربي الحديث - تاريخ كيمبريدج للأدب العربي -، ص 291.

<sup>2</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون - قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية -، ص 19.

<sup>3</sup> شكري عزيز الماضي: الرواية العربية في فلسطين والأردن في ق 20 مع بيبليوغرافيا، دار الشروق للنشر والتوزيع ط 1، 2003، ص 17-18.

<sup>4</sup> عمر سعيد عبد الجبار القزك: الشعراء الروائيون في فلسطين، ص 88-89.

حيث يقول عنه "هادي دانيال": « فقد كان فريدا متميزا على أرض الثورة يبشر بالفجر الذي يحمله أصدقاؤه القادمون غدا، حيث جاء كولادة طبيعية انبثقت من رحم الشعب الفلسطيني في الستينات، وللذين يقولون: نحن خلفاء غسان كنفاني أقول: كان غسان كنفاني مبدعا عظيما ولا خليفة للمبدع سوى إبداعه ».<sup>1</sup>

فرغم تصاعد الإنتاج الروائي وتزايد الأسماء الروائية في هذه الفترة، إلا أننا نلاحظ طغيان اسم واحد وهو "غسان كنفاني" كما ذكرنا سابقا، وهذا يرجع إلى إبداعه المتميز عن سائر الأعمال الأخرى، وهو ما أكده "هادي دانيال" في قوله، منبهرا بعظمة إبداعه المنبثق من معاناة شعبة، وبالتالي لا يمكن لأحد أن يبدع كما أبدع هو أو أن يأخذ مكانه.

وفي الوقت نفسه توقف الإصدار الروائي بعد عام "1967" إلى غاية العام "1974" بسبب الاحتلال وما نجم عنه من نفي وشتات؛ فإن الرواية أخذت تتصاعد وتيرتها في الثمانينات وبداية التسعينات من القرن المنصرم، حيث يقدر مجموع روايات هذه الفترة بـ: "30" رواية، فرغم محاولات الاحتلال الصهيوني في إيقاف الإنتاج الروائي إلا أنه لم يمنعهم من الكتابة، بل زادهم ذلك عزيمة وإرادة، فقد انبثق عن الفعل الأدبي الفلسطيني كم كبير من الروايات، وانضمت أقلام جيل جديد من الروائيين إلى من سبقوهم، بتصويرهم للواقع الجديد الذي فرض على الفلسطينيين في وطنهم وحال غربتهم في شتاتهم. وفي السنوات ما بين (1990-1993) بلغ الإنتاج ذروته، وترجع غزارة هذا الإنتاج إلى الأوضاع الجديدة التي فرضت على الذات العربية البحث عن مفاهيم جديدة وتصورات مستحدثة، وأدوات فاعلة لتفسير الواقع وفهمه وتجاوزه في آن واحد؛ فالرواية تعبير عن مجتمع يعي أنه يتغير، ولا تلبث أن تصبح تعبيراً عن مجتمع يعي أنه يتغير.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> هادي دانيال: فلسطين المبدعة - قراءة في الإبداع الفلسطيني، دار نقوش العربية، ط1، تونس، 2009، ص 27-28.

<sup>2</sup> شكري عزيز الماضي: الرواية العربية في فلسطين والأردن في ق 20 مع بيليوغرافيا، ص 19.

نستطيع القول: إنَّ جلَّ هذه العوامل أسهمت في بلوغ الرواية ذروتها، وذلك بتوثيقها للوقائع والأحداث الفلسطينية كما كانت قبل النكبة، وكيف تغيرت بعدها، فهي تعبر عن الواقع محاولة إعطاء مفاهيم وتفسيرات جديدة.

ويلاحظ في هذه الفترة بروز أسماء شبه محترفة للفن الروائي، تميزت بغزارة إنتاجها وتطوره من الناحية الفنية، من بين هذه الأسماء نذكر: **غسان كنفاني**، **جبرا إبراهيم جبرا**، **إميل حبيبي**، **يحيى يخلف**، **نبيل خوري**، **أحمد عمر شاهين**، **رشاد أبو شاور**، **زكي درويش**، وغيرهم من الكتاب.<sup>1</sup>

وفي الأخير يسعنا أن نقول: رغم الظروف التي كانت تعيشها فلسطين نتيجة الاحتلال الإسرائيلي، الذي حاول طمس شخصية وعروبة الشعب الفلسطيني عامة والكتاب خاصة؛ إلا أننا نرى أنَّ الإنتاج الروائي عرف تذبذبا وانقطاعا قبل النكبة لكن بعد سنوات قليلة استطاعت الرواية أن تفرض سيادتها وتتطور شيئا فشيئا إلى أن بلغت درجة كبيرة من التطور، وأصبحت شأنها شأن الرواية العربية.

<sup>1</sup> شكري عزيز الماضي: الرواية العربية في فلسطين والأردن في ق 20 مع بيليوغرافيا، ص 19.

4 / القضية الفلسطينية في الرواية العربية:

إنّ قضية فلسطين من مهدها، لم تلامس أخصاً عربياً في المشرق إلاّ وقد هزت أخصاً له في المغرب<sup>1</sup>، حيث ألهبت منذ بداية الصراع مع الحركة الصهيونية، مشاعر العرب مع اختلافاتهم القطرية<sup>2</sup>، وصدمت العقل والمجتمع العربي في الصميم، وخدّفت في نفسه جرحاً لم يُتخج له عمق الصدمة وتتابع الحوادث أن يندمل حتّى مع ضي العقود من السنين، فكان لهذا الجرح العميق انعكاسات صارخة في الأدب العربي<sup>3</sup>.

بحيث لم يقتصر تأثير هذه القضية على الشعب الفلسطيني فحسب، بل تجاوز تأثيرها باقي الشعوب العربية الأخرى، وأصبحت قضية العالم العربي برمّته، كونها تختلف عن أيّ قضية أخرى في حجم المعاناة، وهذا ما انعكس على الأدب العربي.

فالأدب يعتبر نتاج عقول ومشاعر إنسانية، تتأثر - بطبيعة الحال - بالعوامل المحيطة بها من حزن إلى فرح، ومن تفاؤل إلى تشاؤم، حيث يستطيع به الأديب نقل القارئ إلى تجارب إنسانية ومشاعر متضاربة، تعكس حيرته وقلقه لقاء ما يصادفه في حياته من تجارب أثرت في إبداعه. فالأديب كالمصور اليقظ الذي يصور أبرز ما يجري على الساحة، يطرح رؤيته واستقراءه للحدث، وقد يكشف نبوءات مستقبلية لواقع الصراع وصورته، وتعد الحروب من أقوى ما يؤثر في إبداعه، فيحاول أن يمدّ القارئ بخيط<sup>4</sup>

<sup>1</sup> صالح خرفي: الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ط، الجزائر، د.ت، ص 27.

<sup>2</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون - قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية -، ص 40.

<sup>3</sup> حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، ص 95.

<sup>4</sup> هيفاء حامد سند العصيمي: القضية الفلسطينية بين الروايتين العربية والإنجليزية المعاصرة - دراسة مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والنقد والبلاغة، إشراف: د.ناصر شبانة وعفاف جميل خوقير، قسم اللغة العربية والإنجليزية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2013، ص 11.

يصله بالأحداث الدموية البشعة، كأنه حاضر في المعركة، وشاهد على ما يجري، ينقل المبدع هذه المشاهدة بلغة أدبية بعيدة كل البعد عن التقرير والمباشرة.<sup>1</sup>

فالأديب يتأثر بمجتمعه وبكل ما يحيط به، وأهم ما يؤثر فيه تلك الصراعات والنزاعات التي تحدث في الوطن العربي، فيقوم بنقل الأحداث من الواقع ويصحبها في كتاباته بعد أن يضيف عليها لمستته الخاصة ويطرح أفكاره، ويبيدي رأيه اتجاهها، فهو لا يقوم بسرد الأحداث كما في التاريخ، بل يحاول أن يضع القارئ موضع تلك الحوادث.

ولئن كان الشعر أكثر فنون ذلك الأدب تفاعلا مع القضية حتى نهاية الخمسينيات تقريبا، فإن الرواية العربية سرعان ما أبدت اهتماما بها، وسرعان ما وجدت فيها أيضا وسيلة للتعبير عن إحساس المثقفين العرب عامة بضياح جزءٍ غالٍ ومقدس من الأرض العربية، إلى حدّ يمكن القول إنه ما من قطر عربي إلا وقد شارك برواية أو أكثر في هذا المجال<sup>2</sup>، فكان لها دور كبير في عرض الثقافة الفلسطينية، لاتساع مساحتها وقدرتها على عرض الأفكار بطريقة مباشرة أو عن طريق الرمز، ولمقدرة شخصها على التعبير بحرية عن القضية، وطرح رؤى الكاتب والرؤى المعارضة له، فهي تأخذنا إلى عمق النفس الإنسانية لتترجم معاناتها، وتنقل مشاعرها المتأرجحة بين الحزن والإحباط والمقاومة والتفاؤل بغدٍ أفضل، حيث تسعى إلى تسليط الضوء على المشكلات التي كانت وليدة الحروب، بحكم احتكاك الأديب بها وإدراكه لدوره في مواجهتها والتزامه بالتعبير عن واقعه وقضايا شعبه.<sup>3</sup>

بما أن الرواية ترتبط بالواقع، وتستمد موضوعاتها منه، وتتأثر بالمجتمع؛ فإن الرواية العربية عيّنت بقضايا الوطن العربي وتحديدا القضية الفلسطينية، حيث استطاعت

<sup>1</sup> هيفاء حامد سند العصيمي: القضية الفلسطينية بين الروايتين العربية والإنجليزية المعاصرة-دراسة مقارنة، ص11.

<sup>2</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون-قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية-، ص40.

<sup>3</sup> المرجع السابق: هيفاء حامد سند العصيمي، ص12/11.

أن تعبر عن هذه المأساة وتصور لنا الواقع المرير بمختلف أشكاله، فما من أديب عربي إلا وكتب رواية أو أكثر عن هذه القضية.

إن هزيمة 1967 تعتبر بمثابة نقلة نوعية للرواية العربية، في الحديث عن القضية الفلسطينية، حيث منحتها دفقا وتوهجا، دفع بها إلى ضفاف العالمية، فالتطور والتجديد اللذان كانا على الرواية العربية أن تشهدهما جاءا كرد فعل لها، بحيث بات على الروائي أن يستوعب المأساة الكبرى التي أحدثت شرخا كبيرا في جسد الوطن وكان عليه استيعاب الحقيقة وتداركها بلغته وأسلوبه، وتمرين آتته السردية لكي تلائم الواقع وتعبّر عنه أحسن تعبير، مبتعدا عن الأساليب الجاهزة واللغة الرنانة التي لا تمت لهذه الأحداث بأية صلة<sup>1</sup>، فهو يحاول دائما أن ينقل لنا القضية بتعقيداتها وتداخلاتها وتناقضاتها، فالحرب تستدعي المقاومة للدفاع عن النفس، والحياة والهوية من الضياع والتصدي لكافة أشكال التذويب والطمس والتهميش.<sup>2</sup>

من بين الأحداث التي ساهمت في تطور الرواية العربية هذه الهزيمة، التي استلهم الروائي أحداثها وعبر عنها في كتاباته، كونه لم يجد سوى هذه الوسيلة الأدبية لنقل هذه الوقائع، ذلك توظيفه للغة والأسلوب اللذان يرتبطان بهذه الأحداث، ومواجهته لشدّي أنواع الاحتلال الذي يسعى لمحو كل ما يتعلق بالعالم العربي.

فهذا الصراع الإنساني أرغم الكتاب على مراقبة الواقع والكتابة عنه في محاولة تحليله فكانت الكتابة الأدبية عنصرا جوهريا في المقاومة، حيث يتحمل الكاتب مسؤولية تفرض عليه أن يجمع كل ما فقد وضاع لدى الناس ولدى الأماكن، بل لدى الأحداث واللغة ليصنع من ذلك كله نسيجاً أو شبكة علاقات، أو تشكيلا روائيا ليحفظه من الضياع ثانية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: الكون الروائي-قراءة في الملحمة الروائية، الملهة الفلسطينية ل:ابراهيم نصر الله-، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2007، ص9.

<sup>2</sup> هيفاء حامد سند العصيمي: القضية الفلسطينية بين الروايتين العربية والإنجليزية المعاصرة-دراسة مقارنة، ص39.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص17/16.

لم يكن الصراع هاجساً أمام الروائي ولم يمنعه من مواصلة إبداعه، بل حفّزه على إعطاء المزيد بجمع كل ما فُقد وضاع وإعادة تركيبه ليشكل به نصّاً روائياً يحافظ على ما ضاع.

استطاع هؤلاء الكتاب بالدرجة الأولى أن يحمّلوا رواياتهم مختلف الجوانب العاطفية التي نجمت عن التأثر بالمأساة، مضافاً إلى ذلك بعض النواحي السياسية، حيث تحدثوا عن النضال العربي عامة والفلسطيني خاصة، وصوّروا جوانب مختلفة من عملية القتال وركزوا على قيم الصمود والتضحية، كما صوّروا مأساة اللاجئين الفلسطينيين وعذابهم وتشثيتهم، وأكدوا على شوق هؤلاء للعودة، وحنينهم إلى أرضهم المحتلة، وحنينهم شدياً الفرص للوصول إليها.<sup>1</sup>

وبهذا فإنّ مواضيع هؤلاء الروائيين كانت تدور حول النضال والمقاومة والصمود ونقل للمعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني خارج دياره ولهفته للعودة إليها.

من هنا نجد أنّ القضية الفلسطينية أثارت محصولاً أدبياً ضخماً، فهو محصول يبدو ضئيل التأثير، محدود الأبعاد مقصراً على مستوى المأساة ذاتها؛ وهذا الحكم يكاد يجمع عليه معظم الأدباء والنقاد العرب، أما في رأي د. "حسام الخطيب" « أنه نتيجة لأسباب موضوعية أولها: أنّ معالم التجربة المأساوية لم تتضح بعد في طيات نفوسنا لأننا حتّى الآن مشغولون عن تمثيل الحدث العظيم، فنحن بعيدين كلّ البعد عن الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، نعبر عن هذه المأساة دون معاشتها، فكانت هذه الكتابة من باب التأثر، ويرجع السبب الثاني إلى أنّ المأساة مستمرة ولم تكشف بعد عن نهاية حاسمة؛ فالروائي حتى الآن يكتب في مأساة فلسطين وهو مازال ينتظر أن تتغير الأوضاع الراهنة بين لحظة وأخرى »<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، ص112.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص77.



فالكاتب العربي يكتب وهو متفائل بتغيير هذا الواقع، ويأمل في حدوث معجزات مفاجئة تنهي حالة البؤس التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

ظل الهاجس المسيطر على الروايات العربية هو هاجس الحرية والكرامة والإرادة والإيمان بالنصر؛ فذاكرة الروائيين مشغولة بالنكريات والحنين للماضي الجميل، وأقلامهم ممثلة مرارة ترفض الرضوخ للواقع بما يحمله من معاناة، فكانت الرواية بمثابة دائرة واسعة من دوائر الرصد والمتابعة لأبعاد القضية الفلسطينية، وملابساتها وتطوراتها وتسلسلها التاريخي، حيث تمكنت من توثيق الأحداث، ورصد الآثار التي يحاول المحتل محوها وإزالتها وتهويدها، فجاء ذكرها في الرواية دريا من دروب الحفاظ عليها، ورسمها في خيال القارئ، حتى تظل صورة الفلسطيني حاضرة في ذهنه، بهذا تكون قد خدمت القضية الفلسطينية، إذ عكف الكاتب على تعريف العالم بقضيتهم، وإعادة سرد الحقائق وكشف اللبس الذي يحاول الآخر الإسرائيلي خلقه حول فلسطين، وأكدت على تمسك الفلسطيني بأرضه ومقدساته، ومحاربه لكل أشكال التهميش.<sup>1</sup>

كانت تلك الروايات تهتف بالحرية والاستقلال، وتحمل في طياتها معاناة الواقع المرير فهي تهتم بتسجيل كل صغيرة وكبيرة حول هذه القضية ومتابعة أحداثها، وتدوين الآثار والمعالم التي يحاول المستعمر طمسها.

جاءت عناوين بعض الروايات ذات دلالة مباشرة على المضمون، بينما يحتاج المتلقي في بعضها الآخر إلى التفكير في المعنى الرمزي الذي تحمله<sup>2</sup>، ومهما يكن ذلك فإن ثمة تباينا بين كتابات الروائيين العرب عن القضية الفلسطينية، وكتابات الروائيين الفلسطينيين، حيث نجد الكاتب العربي كان يكتب من منطلق التعاطف والمشاركة<sup>3</sup>

<sup>1</sup> هيفاء حامد سند العصيمي: القضية الفلسطينية بين الروائيتين العربية والإنجليزية المعاصرة-دراسة مقارنة، ص27.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص213.

<sup>3</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون-قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية-، ص40.

وفلسطين بالنسبة إليه مجرد قضية أو مشكلة، أما الكاتب الفلسطيني فإنه يصور القضية من خلال الناس والمجتمع والحياة اليومية، فثمة أعمال روائية واهية الصلة بالقضية كأعمال "عوني مصطفى، باسم سرحان، سمير قطب" وغيرهم.<sup>1</sup>

فالكاتب العربي يختلف بطبيعة الحال عن الكاتب الفلسطيني، بحكم أن هذا الأخير عاش المأساة، فهو جزء منها وشاهد على ما يحدث، في حين الروائي العربي يكتب عن الأحداث التي نقلت إليه، فهو لم يعيش التجربة كما عاشها الكاتب الفلسطيني. وعامة فإن معظم النتاج الروائي العربي الذي عني بقضية فلسطين يتسم بخصائص تكاد تكون واحدة في الأغلب الأعم؛ من أبرزها حضور القضية فيه بسبب وجودها في الوجدان العربي، وربما بسبب العزف على الوتر نفسه الذي ضرب عليه الكثير من الروائيين العرب، فلم يستطع سوى القليل منهم تقديم رؤية واضحة للواقع العربي الذي أدى إلى الهزيمة، أما بعد النكبة استطاعت الرواية العربية المعنية بالقضية الفلسطينية أن تحقق نقلة واضحة على المستويين الكمي والنوعي، ولم تعد الوفرة في الكم وقفاً على الروائيين العرب الذين ينتمون إلى الأقطار المجاورة لفلسطين، بل أقطار العالم العربي، كما استطاعت أن تقدّم تنوعاً في العوالم الروائية وتعدّداً في الرؤى لحركة الواقع العربي.<sup>2</sup>

إنّ الذي يجمع بين الروايات العربية المتحدثة عن القضية الفلسطينية واحد وهو الكشف عن المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، بحكم أن هذه القضية ضربت الأدباء في الصميم، بالإضافة إلى معاناة الدول العربية من الاحتلال نفسه، فقبل الهزيمة لم تقدم الرواية العربية رؤية واضحة حول القضية، أما بعد الهزيمة استطاعت أن تصل ذروتها كمّاً وكيفاً.

<sup>1</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون - قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية -، ص 41.

<sup>2</sup> هيفاء حامد سند العصيمي: القضية الفلسطينية بين الروايتين العربية والإنجليزية المعاصرة - دراسة مقارنة، ص 214.

من الملاحظ أنّ الرواية السورية كانت السّابقة إلى التحسس بالقضية الفلسطينية والتفاعل معها، كما كشفت عن حماسة واندفاع شديدين باتجاه التصدي للعدو وكان "شكيب الجابري" من أوائل الذين عالجوا هذا الموضوع في إطار الحماسة القومية والدينية في روايته "قوس قزح"؛ التي كتبها قبل النكبة، حيث كانت عبارة عن شعور مبكّر بالخطر الصهيوني<sup>1</sup>، وبالمسؤولية في مواجهة هذا الخطر، ورواية "سناقتكم في فلسطين" تدلّ على أنّ موقف الرأي العام العربي كان قائماً على الاستهانة بقوة العدو الإسرائيلي<sup>2</sup> ورواية "جيل القدر" لـ"مطاع صفدي"، ورواية "الطريد" لـ"نواف أبو الهيجاء"؛ التي صور فيها مظاهر البؤس والفقر والجو والتشرد، والخيبة والآلام النفسية، وكفاح الشعب الفلسطيني، ونجد رواية "النقيض" لـ"أفنان القاسم" التي تحدث فيها عن المأساة الأولى للفلسطيني قبل النكبة، وعن عذابه في مقاومة الاستعمار البريطاني والإسرائيلي<sup>3</sup> ورواية "سنة أيام" لـ"حليم بركات" التي تنتمي إلى الرواية الرمزية الخالصة، ورواية "المزامير" للروائي "فتحي سلامة"، التي تغطي قطاعاً زمنياً طويلاً نسبياً من التاريخ الفلسطيني الحديث، حيث يمتدّ بين بدايات الاستيطان الصهيوني وهزيمة حزيران بالإضافة إلى رواية "عرس فلسطيني" لـ"أديب نحوي" التي صور فيها حنين الفلسطيني إلى أرض وطنه.<sup>4</sup> هذه كانت أهم الروايات السورية التي تناولت القضية الفلسطينية.

وفي المغرب العربي نجد الروائي "مبارك ربيع" في روايته "رفقة السلاح والقمر" وروايته "النار والاختيار" للروائية "خناتة بنونة"، أما في لبنان نجد رواية لاجئة لـ"جورج حنا" التي تعتبر أول رواية عربية تتناول القضية الفلسطينية، والروائية "جنى فواز حسن"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، ص 90.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 93.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ص 169.

<sup>4</sup> نضال الصالح: نشيد الزيتون-قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية-، ص 46.

<sup>5</sup> أميرة أحمد: روايات كتبت بدم فلسطين.. من أجل فلسطين، [www.arageek.com](http://www.arageek.com)، 10/03/2016، 19:25.

في روايتها "طابق 99"، وفي مصر نجد رواية "أرض النفاق" ورواية "ابتسامة على شفثيه" لـ"يوسف السباعي" الذي صوّر فيهما الواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، ورواية "الطنطورية" لـ"رضوى عاشور" تتحدث عن المعاناة التي ذاقها الشعب الفلسطيني والمجازر التي تعرض لها، أما في الكويت نجد رواية "ساق البامبو" لـ"سعود السنعوسي"، و"عبد الوهاب الحمادي" في رواية "لا تقصص رؤياك".<sup>1</sup>

ومنه نستنتج أن القضية الفلسطينية حاضرة في قلب كل إنسان عربي، خاصة الروائي، حيث تمثل له الغذاء الكامل لعمله الإبداعي، فلا يوجد روائي لم يكتب عنها في رواياته، ولم يعبر عن المعاناة التي يعيشها هذا الشعب، محاولاً تجسيدها بكل ما يملك من لغة وأسلوب وألفاظ توحى بحجم هذه المأساة، ووضع القارئ في موضع المعاناة، فكانت كتاباته تمثل جانبا جماليا في قالب مأساوي يعبر عن المقاومة فهذه المأساة هي التي دفعت بالرواية نحو التجدد والتطور، حيث نجد أن الرواية السورية كانت السباق في معالجة هذه القضية والتنبؤ بخطر الاحتلال الصهيوني وعليه فإن الرواية العربية استطاعت أن تمثل القضية الفلسطينية أحسن تمثيل، وتوصل القارئ إلى المعاناة التي يعانيها هذا الشعب.

<sup>1</sup> أميرة أحمد: روايات كتبت بدم فلسطين.. من أجل فلسطين، [www.arageek.com](http://www.arageek.com)، 10/03/2016، 19:25.

5/ القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية:

إن الدارس للأدب الجزائري يلاحظ ظاهرة متميزة في كتابات الجزائريين شعرا ونثرا وهي الانطلاق من الواقع الوطني إلى الواقع العربي. من رؤية محلية إلى رؤية عربية شاملة<sup>1</sup>، وهذا دليل قاطع على سعة النظر عند الأديب الجزائري وعمق تفكيره، وصدق انتماؤه وارتباطه بوطنه الكبير، ومن ثم كانت كل دعوة إلى القضايا الوطنية لا تخلو من الدعوة إلى القضايا العربية القومية.<sup>2</sup>

فالأديب الجزائري رغم الظروف التي كان يعيشها بسبب الاحتلال الفرنسي، الذي حاول قطع الصلة بينه وبين المحيط العربي الإسلامي إلا أنه لم ينجح في ذلك، فالكاتب الجزائري انطلق من قضيته إلى قضايا الوطن العربي.

فما من قضية عربية إلا رأينا صداها في أقلام الجزائريين وكتاباتهم وما من كارثة وقعت في الوطن العربي إلا وانفعل بها الأدباء الجزائريون، وما من نصر تحقق في جزء من الأمة العربية إلا وسارعوا إلى التعبير عنه فرحا وحبورا<sup>3</sup>، حيث يقول "أبو القاسم سعد الله": « إن الأدب الجزائري الذي يستمد روحه من الواقع العربي، ويعبر عن آمال الشعب الجزائري من خلال إحساسه الشرقي، وارتباطه التاريخي، كان يعبر عن القضايا العربية بأسلوب آخر قد يسميه البعض مشاركة وجدانية، ولكني أسميه روح القومية العربية التي كان الأدب من روادها الصادقين. فقد كان الأدباء الجزائريون دائمي التطلع<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 1982، ص179.

<sup>2</sup> كمال العجالي: فلسطين في النثر الجزائري الحديث من 1909 إلى 1950، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2005، العدد07، ص9.

<sup>3</sup> عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، ط1، الجزائر، د.ت، ص106.

<sup>4</sup> أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط3، الجزائر، 2007، ص108.

إلى ما وجدوا في الشرق من أحداث وطنية أو أدبية، وكانوا حريصين على أن لا تفوتهم المشاركة في التعبير عن هذه الأحداث، التي يعنونها من صميم حياتهم القومية»<sup>1</sup>.

لم يكن ارتباط الأديب الجزائري بقضايا وطنه فحسب، بل تعدى ذلك إلى قضايا الوطن العربي ككل، حيث كان هذا الارتباط وثيقا وصادقا، سواء أكان فرحا أو قرحا وهذا ما أكدّه "أبو القاسم سعد الله"، وأكد أيضا أن الأدب الجزائري مستمد من واقع الأمة العربية، والكاتب الجزائري يعبر عن القضية العربية مثلما يعبر عن قضيته، ويربط بين واقعه الوطني وبين الواقع القومي العربي، وكان متتبعا لأحداثها والتعبير عنها في كتاباته.

وهناك قضايا عربية كثيرة عاشتها الجزائر في أديها وفكرها، ولعل أهم قضية احتفى بها الأدب الجزائري، هي القضية الفلسطينية<sup>2</sup>؛ التي تعدّ قضية فريدة من نوعها عبر التاريخ، فهي ليست قضية حرية فحسب، ولكنها قضية الإنسان أو ضمير الإنسانية ككل ويرجع هذا الاهتمام إلى أن كلاهما عرف الاستعمار الاستيطاني، وذاق الإرهاب بشتى أنواعه وصوره، وتعرض لمحاولات القضاء على مقوماته الأصلية من لغة ودين وتاريخ وحضارة، بل عرف أخطر من هذا، وهو محاولة إلغاء كيانه ومحوه من الوجود<sup>3</sup>، فكانا يلتقيان في أكثر من نقطة في العالم العربي، كان لقاء الثأر بالدم المهدور، لقاء الانتفاضة بالكرامة الجريحة، لقاء العودة للوطن الثائر، والوطن المتأهب للثورة، فوضعت اليد في اليد، وتتادى الآمال، وتجاوبت الجروح.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص108.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص107.

<sup>3</sup> عبد الله الركبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص107.

<sup>4</sup> صالح خرفي: الجزائر والأصالة الثورية، ص52.

إنّ القضية الفلسطينية تعد من أبرز القضايا التي عالجها الكتاب الجزائريون، وأبدعوا في الكتابة عنها، فهي تعتبر قضية حق وعدل وحرية واستقلال، لا تمس الشعب الفلسطيني وحده، بل تمس العالم العربي بأكمله ويعود اهتمام وإبداع هؤلاء الكتاب إلى أن معاناة الفلسطينيين مرّ بها الشعب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي، فكان الجرح واحد، والألم والمعاناة واحدة، وكان تعبيرهم عن هذه القضية هو نفسه التعبير عن قضيتهم.

وكان الأدباء والكتاب الجزائريون من أوائل المثقفين العرب الذين وقفوا إلى جانب الشعب الفلسطيني، فقد شاركوا هذا الشعب معاناته، وعبروا عن إحساسهم بمأساته وكشفوا أهداف الصهيونية مبكراً، وكتبوا شعراً ونثراً عن هذه القضية، التي اعتبروها قضيتهم رغم أن ستاراً سميّاً ضربه الاستعمار الفرنسي بين الجزائريين والأقطار العربية الأخرى، ليعزله عن الأمة العربية التي هي جزء لا يتجزأ منها<sup>1</sup>، إلا أنه لم يؤثر في الشعب الجزائري؛ فوقف هو وأدباؤه ضد سياسة العزل والتفرقة، بنفس القوة التي رفضوا بها سياسة الاندماج في الجنسية الأجنبية، فكان إنتاجهم الأدبي يدور حول محاور ثلاث وهي: "الوطنية والعروبة، الوحدة العربية، وفلسطين"<sup>2</sup>.

فلا واقع أن الشعب الجزائري ينظر إلى القضية الفلسطينية بأنها قضيته، والكتاب الجزائري يتحدث عنها وكأنه واحد من أبنائها، رغم محاولات الاحتلال لعزله عن العالم العربي، إلا أن محاولات باءت بالفشل أمام شعب يهوى التحدي والصمود والتصدي لكل المواجهات التي تقف في طريقه.

<sup>1</sup> عبد الله الركبيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 12/11.

<sup>2</sup> عبد الله الركبيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 179.

ونلمح في هذه الكتابات عاطفة صادقة، وخوفاً مما يجري في فلسطين وما يسيل على أرضها من دماء، وما يلحق شعبها من ظلم وحيف<sup>1</sup>، ولعلّ هذا الشعور العميق بهذه المأساة انطلقاً من واقع مشابه في الماضي، وهو الذي جعل الشعب الجزائري لا ينسى الجرح الذي تركته هذه القضية في نفوس أبنائه، وكان الكتاب السنة هذا الشعب معبرين عن أفكاره وعواطفه، فوظفوا تعابير توحى بالحرب وما ينجم عنها من ألم وبأس بأسلوب منمق مسجوع ونبرة خطابية حزينة.<sup>2</sup>

فكان تعبير هؤلاء الكتاب صادقا نابعا من القلب، من الإحساس بعمق المعاناة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، والتي يعتبرون أنفسهم يعيشونها، وهذا ما تجلّى في كتاباتهم.

فالكاتب الجزائري لا يستخدم الحجج العقلية في إثبات الحق العربي في فلسطين كما حاول غيره أن يفعل، وإنما يضرب الأمثلة من التاريخ ساخرا من اليهود الذين لم يدافعوا عن فلسطين فيما تعرضت له من احتلال قديم وغزوات في الماضي البعيد، ويدعو العرب إلى التضحية والنضال، حيث عبّر عن لوعة وأسى النكبة التي شردت الشعب الفلسطيني، فاندشش لما حدث له، ومن ثمة أصيب بصدمة عنيفة زلزلت نفسه، فكتب نثرا يرقى إلى درجة الشعر في بعض أساليبه من حيث حدة الانفعال وقوة التعبير،<sup>3</sup> حيث أنّ الواقع المرير والجرائم المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني أثّرت في نفوس الكتاب الجزائريين، فكان ملاذهم الوحيد للتعبير عن هذا الواقع، ودعوة الشعوب العربية إلى القيام بواجبها في الدفاع عن هذا الشعب المظلوم هو الكتابة، حيث ينطلق الكاتب من الماضي ليصور الحاضر الأليم.

<sup>1</sup> عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 144.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 145.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 155-179.



وقد برهنوا على الوعي بقضية فلسطين سواء بعد نكبة 1948 أو قبلها، وسواء فيما يتعلق بالصراعات السياسية أو غيرها، وكان تتبهم بالخطر الصهيوني في وقت مبكر،<sup>1</sup> حيث تفتنوا له قبل النكبة، ورددوا ذلك في كتاباتهم، وحذروا الفلسطينيين بخطرورة هذا العدو الظالم وبضرورة مواجهته.

ونجدهم عاشوا القضية العربية في أعماقهم وضمائهم، وقد برزت أسماء كثيرة بعد الاستقلال كرسّت كثيراً من كتاباتها لقضية فلسطين أمثال: "محمد الملي، محمد العربي ولد خليفة، محمد مصايف، عمر البرناوي، محمد الهواري"، وغيرهم من الكتاب الذين عالجوا القضية من شتى جوانبها، وكانت الرواية خير ممثل للواقع الفلسطيني حيث يعتبر الروائي "واسيني الأعرج" من المهتمين بهذه القضية، حيث يطلق عليه اسم "عاشق فلسطين"، كتب روايته "رماد الشرق" وخصّص جزءاً منها لفلسطين وللنكبة ولمعاناة اللاجئين الفلسطينيين، ورواية "2084 حكاية العربي الأخير" تطرق فيها إلى القضية الفلسطينية باعتبارها محوراً رئيساً لمختلف قضايا العرب ومآسهم بالإضافة إلى رواياته "طوق الياسمين"، "سيرة المنتهى - عشتها كما أشتهي"، "سوناتا لأشباح القدس"، وروايته الأخيرة "ملكة الفراشة"؛ التي أصدرها من فلسطين وخصص النّخل المالي لهذه الأعمال لدعم الحركة الأدبية داخل سجون الاحتلال، ونجد أيضاً الروائية "أحلام مستغانمي" في رواية "الأسود يليق بك" التي تعبّر عن أوجاع الوطن العربي بدءاً من الجزائر وصولاً إلى فلسطين، والروائية "تاردين دمون" في روايتها "زهرة زعتر" حيث استطاعت أن ترصد لنا الواقع الاجتماعي والأمني الصعب<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 181.

<sup>2</sup> محمد بوعزارة: واسيني عاشق فلسطين...، [www.djazairress.com](http://www.djazairress.com)، 2016/03/10، 19:35.

في هذه الأرض المقدسة، وتعكس الحالة النفسية التي يعيشها شعبها من أنات وإحساس وبالضياح،<sup>1</sup> بالإضافة إلى رواية "المتحرر من سلطة السواد" للروائي "عبد المنعم بن السايح" الذي صور معاناة الطفل الفلسطيني وتشردته تحت وطأة الاحتلال،<sup>2</sup> وغيرها من الروايات التي عوّت عن واقع المأساة الفلسطينية.

إنّ هذا الجيل الجديد من الروائيين عني عناية خاصة بقضية فلسطين؛ لأنه فتح عينيه على حرب السبعينات، ولأنه عاش أصداء ثورة نوفمبر المجيدة، ثم عاش الفترة التي تفجرت فيها الثورة الفلسطينية في منتصف الستينات، وتابعتها أملا في انتصارها وتعاطف مع كفاح أبنائها وانبهر بزخمها، فكان يتابع أخبارها لحظة بلحظة، وينفعل لما يسمع من تضحيات أبنائها وتتنوع أساليب نضالهم، فكتب القصص والروايات مشياً بهذه الثورة العارمة التي فاجأت الكثير من الناس مثلما فاجأتهم ثورة نوفمبر التحريرية وحين نطالع إنتاج هؤلاء نلحظ هذا العمق في التصوير، والوعي في التعبير والفهم المتقدم لهذه القضية لأنّ وعي الكاتب قد تطور هو الآخر وأصبح التعاطف مبنياً على العقل والتحليل بدلاً من الإحساس التلقائي، كما أنّ فهم الأدباء للحركة الصهيونية أصبح فهماً سليماً بحيث أدركوا عنصريتها وتوسعها وهدفها النهائي الذي هو طرد الشعب الفلسطيني وإحلال سكان أجنبي بدلاً منه، بعد الاستيلاء على مساحة كبيرة من الأراضي العربية.<sup>3</sup>

يرجع اهتمام الكتاب الجزائريين بالقضية الفلسطينية إلى عدّة أسباب أهمها: ثورة نوفمبر الخالدة، حيث كانوا يتابعون أحداث هذه القضية ويصورونها في رواياتهم ويتحسرون لما يجري لأبنائها، فلم تكن هذه الكتابات مجرد نقل للوقائع، بل كانت عبارة

<sup>1</sup> محمد بوعزارة: واسيني عاشق فلسطين...، [www.djazairress.com](http://www.djazairress.com)، 2016/03/10، 19:35.

<sup>2</sup> أسماء ص: المتحرر من سلطة السواد..حكاية فلسطينية من الجزائر، [www.echababonline.com](http://www.echababonline.com)، 2016/03/10، 19:50.

<sup>3</sup> عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص191/190.

عن تحليل ومناقشة أفكار ونوايا الاحتلال الإسرائيلي، والأهداف التي يريد أن يصل إليها. وقد استمرّ خط الكتاب في تصويرهم وتعبيرهم عن هذه القضية، في تصاعد منذ بداية القرن حتى يومنا هذا، وزاد من اتساع دائرة الاهتمام بها دور إتحاد الكتاب الجزائريين في فترة السبعينات، إذ كان دائما يدعو إلى إقامة الندوات والملتقيات الثقافية حول الإنتاج الأدبي الذي يعالج هذه القضية، كما يدعو إلى تنظيم محاضرات تتحدث عن فلسطين من كافة النواحي، وشارك الأدباء الجزائريون والفلسطينيون والعرب الآخرون في هذا النشاط الأدبي، كما أسهمت الصحافة بدور بارز في نشر هذا الإنتاج والتنويه به شأنها في ذلك شأن كافة المؤسسات الإعلامية والثقافية التي أسهمت في التعريف بهذه القضية، وتعميق الوعي بها على نطاق الشعب كلّهُ.<sup>1</sup>

حيث كان لاتحاد الكتاب الجزائريين والصحافة الثور الكبير في تعميم وتعريف هذه القضية إلى أبعد مدى ممكن، وذلك بنشر كل ما يتعلق بها، سواء أكان شعرا أم قصصا أم روايات، أم إلقاء محاضرات تخصها.

ومهما يكن من أمر فإنّ الروائيين فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية قد عبّروا عن تعاطفهم الواضح مع فلسطين ومع الأمة العربية، وجسّدوا ارتباط الجزائر بالعالم العربي، وبقيّته الأولى التي يؤمنون بحتمية انتصارها وعودتها لأبنائها وللاّمة العربية.<sup>2</sup> وكان هذا واضحا من خلال كتاباتهم التي اتخذوها للتعبير عن هذا التعاطف.

<sup>1</sup> عبد الله الركبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 191/192.

<sup>2</sup> عبد الله الركبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 240.

وخلص ذلك أن القضية الفلسطينية كان لها صدى كبير في الرواية الجزائرية، فلم يكن الكتاب معزولون عن قضايا أمتهم العربية رغم مواجهة الاحتلال لهم، بل اهتموا بهذه القضية التي لا يوجد لها مثيل، فوقفوا إلى جانب الشعب الفلسطيني، وأدركوا واقعه ومصيره، وأبرزوا بشاعة الاحتلال الإسرائيلي من خلال تصويرهم لاستبداده وظلمه فاعتبروها قضيتهم وعبروا عنها بصدق ووعي، وكانت الرواية مرآة عاكسة لهذه القضية فلا نجد روائيا إلا وكتب عنها، وخير مثال الروائي "واسيني الأعرج" الذي ما كتب رواية إلا وأدرج ضمنها هذه القضية الإنسانية.

# الفصل الثاني

توظيف القضية الفلسطينية في رواية "جراح الصمت"

"لمصطفى دالع"

- ❖ آليات توظيف الأحداث.
- ❖ آليات توظيف الشخصيات.
- ❖ آليات توظيف الزمان.
- ❖ آليات توظيف المكان.
- ❖ آليات توظيف الحوار.

تتوعدت الآليات السردية التي وظف من خلالها "مصطفى دالع" القضية الفلسطينية والتي كان لها الأثر الكبير في خدمة النص، حيث تعتبر المكون الأساس في النص الروائي ومن بين الآليات التي سأقوم بتحليلها: آلية الحدث، الشخصية، الزمان والمكان الحوار.

### 1/آليات توظيف الأحداث:

أ/ مفهوم الحدث: يعتبر الحدث جزءاً مهماً في العمل الروائي، والمرتكز الأساس الذي تبنى عليه الرواية، حيث يعرفه أرسطو: « بأنه سلسلة من الوقائع المتصلة التي تتسم بالوحدة والدلالة، وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية، فهو نظام نسقي من الأفعال»، فهو سرد قصير يتناول جانباً من موقف معين.<sup>1</sup>

### ب/آليات توظيفه:

جاءت الأحداث في الفصل الأول من رواية "جراح الصمت" مفعمة بعنصر التشويق لمعرفة كيف كان لقاء المتحابين بعد فراق دام عشر سنوات، بين الجزائري "عماد" والفلسطينية "حنين" التي كانت خطيبته في السابق، حيث افتتح "دالع" روايته بوصف حدث اللقاء بقوله: « كما الإعصار جاء لقاؤهما مفاجئاً بهواجس الروح المتصارعة بين الشوق ولوعة الفراق، وبين الإعجاب والاحتقار...شعور بالصدمة تعقبه موجة الفرح الحزين تحت زخات المطر الراقصة، التي ترتطم بالأرض المبللة محدثة صوتاً رخيماً كان كافياً ليكسر زجاج الصمت الذي ساد لوهلة بينهما».<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ونام رشيد عبد الحميد ديب: تقانات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين من عام 1994-2006، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والنقد، إشراف: د.نبيل خالد أبو علي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2010، ص38.

<sup>2</sup> مصطفى دالع: جراح الصمت، دار المعرفة، د.ط، الجزائر، 2011، ص11.

وجاء حدث هذا اللقاء بتفاصيل أوضح، حينما تتحدث "حنين" مع "عماد" وتعاتبه على حبه لها، وتعترف بأنه لم يحبها هي كشخص بل أحب فيها القضية الفلسطينية أحب فيها فلسطين الجريحة، وكأنه فلسطيني الأصل، حيث جاء على لسانها:

« تذكرني دوماً بفلسطين، وكأنك أكثر فلسطيني منا نحن الفلسطينيين، مشكلتك أنك تخلط بين السياسة والعواطف، حتى لكأنك تحبّ في فلسطين لا أنا كامرأة... حتى يوم جئت بيتنا خاطباً استغرق حديثك مع والدي حول معاناة شعبنا في الداخل معظم وقتك وكدت تنسى ما جئت من أجله، فقد أنستك القضية المرأة التي تحب... عماد لم تحبن يوماً كامرأة ولكنك أحببت في القضية..»<sup>1</sup>

ثم ينتقل الروائي للحديث عن المعاناة والتشرد واليأس الذي يعيشه الشعب الفلسطيني حيث تقول "حنين": « وكأن شعباً خلق ليقاتل ويحزن ويتألم ويعتقل رجاله ويعذبوا ثم يقتلوا، ويبيتم أطفاله وتثكل نساؤهم اللاتي يتوشحن السواد ولا يتوقف عن العويل وكأن الفرح محرم علينا، ولا يمكننا أن نسترق لحظات من السعادة إلا بعيداً عن أعين الأعداء وحتى الأصدقاء والإخوة، لأن ابتسامة فلسطيني هي خيانة في نظر الشعوب العربية الغارقة في الملامح والأغاني».<sup>2</sup>

فهي تلوم الشعوب العربية التي وقفت مكتوفة الأيدي، وتركت ذلك الشعب المظلوم يقاوم لوحده دون فعل أي شيء، ناهيك عن الشعوب التي تدعم إسرائيل ضد فلسطين فضمير الشعب العربي نائم اتجاه هذه القضية. ثم تواصل حديثها عن التشنت الذي يعيشه الشعب الفلسطيني خارج وطنه، حيث النكبة التي هجّته وحرمته من أرضه لتؤكد أن هذا الشعب هو وحده الذي يعاني وهو الذي يدفع ثمن الجرائم التي ترتكب عليه، حيث تقول:

<sup>1</sup> الرواية: ص19.

<sup>2</sup> الرواية: ص20/19.

« فشعبنا من يدفع الثمن، وشعبنا من يقتل يوميا وتدمر بيوتهم على رؤوسهم، شعبنا الضائع في غياهب الشتات بعدما هجرتهم الصهاينة من أرض الأجداد غصبا وقهرا نحن في النهاية من يتألم وليس أنتم».<sup>1</sup>

ويأتي الحدث المهم الذي كان سببا في لقائهما بعد الفراق الطويل، وهو انعقاد المؤتمر الدولي حول "إعادة إعمار لبنان بعد الحرب" في بيروت، فكان حضور "حنين" في هذا المؤتمر بمشاركتها بمحاضرة اقتصادية، حيث نقول «جئت للمشاركة في المؤتمر الدولي حول إعادة إعمار لبنان بعد الحرب، وسألقي بالمناسبة محاضرة حول الآثار الاقتصادية للعدوان على لبنان»<sup>2</sup>، في حين كان مجيء "عماد" إلى بيروت لرصد أحداث العدوان الإسرائيلي على لبنان في قوله: « جئت إلى لبنان منذ الأسبوع الأول الذي بدأت فيه إسرائيل عدوانها على هذا البلد الجميل ».<sup>3</sup>

تتواصل الأحداث إلى أن تصل إلى نكبة 1967 وما أحدثته في النفوس من انكسار وحسرة على البلاد العربية عامة وفلسطين خاصة، التي ضاعت من قبل هذا العدو الظالم « ففي نكبة 1967 هزمت إسرائيل ست جيوش عربية في ستة أيام، واحتلت الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السوري...».<sup>4</sup>

وبعد هذا الحدث التاريخي تتجه الأحداث إلى الهزيمة التي تلقتها إسرائيل في حرب 1973 من قبل الدول العربية متحدة، تقول "حنين": « لكن الجيوش انتصرت متحدة على إسرائيل في حرب 1973 وحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر»<sup>5</sup>، فهذه الدول

<sup>1</sup> الرواية: ص20.

<sup>2</sup> الرواية: ص28.

<sup>3</sup> الرواية: ص29.

<sup>4</sup> الرواية: ص32.

<sup>5</sup> الرواية: ن.ص.



لو نتحد كما في هذه الحرب سوف تحرر فلسطين، فإسرائيل في هذه الحرب اعترفت بقوة الجيوش العربية في قول "عماد": « فإسرائيل لم تنتصر في هذه الحرب، بل انهزمت إستراتيجيا، فقد أترف قائدها بأن المقاتل العربي أصبح أكثر شراسة في القتال وأن الخطط العسكرية العربية كانت متقنة بشكل قلّص التفوق العسكري الإسرائيلي على الجيوش العربية».<sup>1</sup>

ويأتي دور الجزائر في هذه الحرب، ومدى قوة جيشها « كثيرون من حاولوا تقزيم دور الجزائر في هذه الحرب، ولكني أود أن ألفت انتباهك يا دكتورة أن الجزائر شاركت بخيرة أبنائها في حرب أكتوبر، وقدمت أجود ما لديها من سلاح لهزيمة العدو... فإسرائيل هي عدونا اللدود».<sup>2</sup> وإسرائيل اعترفت أيضا بقوة هذا الجيش « حتى أن الجيش الإسرائيلي اعترف بوجود صعوبات في اختراق بعض المواقع التي يتواجد فيها جنود جزائريون».<sup>3</sup>

وبهذا تنتهي أحداث الفصل الأول من الرواية، ليستهل "دالع" فصله الثاني بالحديث عن المجازر الإسرائيلية لدى اجتياحها للجنوب اللبناني عام 1982، بعدها يأتي حدث انسحاب القوات الصهيونية من بيروت عام 2000، لينتقل للحديث عن قوة وضخامة جيش حزب الله، ولقائه بقائدهم وإجراء حوار معه وإرساله إلى جريدته لنشره.

ينتقل الروائي إلى الفصل الثالث الذي صور فيه ما جرى في مؤتمر "إعادة إعمار لبنان بعد الحرب"، وكيف كانت إعانات الدول العربية للبنان.

<sup>1</sup>الرواية: ص36.

<sup>2</sup>الرواية: ص39.

<sup>3</sup>لرواية: ص40.

تتحرك الأحداث في الفصل الرابع في الجنوب اللبناني وتحديداً في المخيمات التي يقطنها الفلسطينيون ، حيث كانوا سبباً في اندلاع الحرب الأهلية في لبنان وهذا ما جاء على لسان "حنين": « وعلى الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت في منتصف السبعينات، عندما فجر متطرفون مسيحيون "باصاً" كان ينقل لاجئين فلسطينيين، فكان ذلك الشرارة التي فجرت الحرب بين اللبنانيين واللاجئين».<sup>1</sup>

تواصل حديثها عن النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني وما حدث خلالها من قتل ودمار وخراب، مما أدى إلى تهجير الناس من ديارهم وأرضهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ليتجهوا إلى البلاد العربية، فكانت قبلتهم الأولى "الأردن" إلا أن هذه الأخيرة رفضت توطينهم وطردتهم من أراضيها بضغط من إسرائيل حيث تصف هذا الحدث المؤلم في قولها: « فبعد نكبة 1948، وتهجير الإسرائيليين لأكثر من 700 ألف فلسطيني إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، وبعد حرب 1967 واحتلال إسرائيل لكامل الأراضي الفلسطينية، لم يعد للفلسطينيين من أرض يلجؤون إليها... سوى أرض إخوانهم العرب، وكانت الأردن أقرب إلينا بحكم أن الضفة الغربية كانت خاضعة لإرادتها لذلك لجأ إليها الكثير من الفلسطينيين واتخذوها مركزاً لمنظمة التحرير الفلسطينية لكن الأردن ارتكب في أيلول الأسود 1970 مجزرة في حق الفلسطينيين وأجبر مجاهدي منظمة التحرير على مغادرة أرضهم، فلجأنا إلى إخواننا في لبنان ونصبا مخيماتنا في هذا البلد العزيز».<sup>2</sup>

ثم تكشف لنا مؤامرات ومطاردات إسرائيل للشعب الفلسطيني خارج وطنهم، وتهديدها باحتلال البلد الذي يلجؤون إليه إن لم يطردهم فكانت "لبنان" واحدة من البلدان العربية

<sup>1</sup> الرواية: ص152.

<sup>2</sup> الرواية: ص153/154.

التي تلقت التهديد، بل قامت باحتلالها، «... لكن إسرائيل ظلت تطاردنا في أي بلد لجأنا إليه، بل أصبحت تعتدي على لبنان وتضغط عليه لمنعنا من الهجوم عليها انطلاقاً من أراضيه وأدى ذلك إلى اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية 1975، ثم قامت باحتلال لبنان 1982، وإجبار قيادة منظمة التحرير على مغادرة بيروت نحو تونس، واستمرت معها التغرية الفلسطينية»<sup>1</sup>.

تتقدم الأحداث ويستمر الروائي في تصوير المجازر التي قامت بها إسرائيل ضدّ الشعب الفلسطيني، لينقل لنا دراما مأساوية أخرى كانت بمثابة صدمة قوية ضربت عمق إحساس كل قارئ لها، حيث تدمع لها العين من شدة الممار والقتل والتشريد، والجرائم التي ارتكبتها العدو الإسرائيلي في حق هذا الشعب المظلوم، وهي مجزرة "صبرا وشاتيلا" التي انتقمت فيها إسرائيل من الفلسطينيين الذين يستوطنون المخيمات في الجنوب اللبناني، حيث تصف لنا "حنين" جزءاً من هذه المجزرة التي عاشتها، فنقول:

« كنت في الثامنة من عمري عندما زحفت قوات الكتائب الموارنة على مخيمنا مدعومة بالدبابات والجرافات الإسرائيلية والتي كان على رأسها السفاح شارون، قصفوا المخيم بشكل همجي واستهدفوا المدنيين بشكل مباشر، ثم اقتحمت جرافاتهم المخيم وهنّمت البيوت فوق رؤوس أصحابها، وجمع المعتدون الرجال والنساء والأطفال في مكان واحد وأخذوا بتقتيلهم بشكل جماعي... كان أمرا رهيبا ومروعا، فهذه المجزرة التي قتل فيها ألفي فلسطيني ولبناني في يوم واحد»<sup>2</sup>.

تواصل حديثها عن هذه المجزرة، فتروي لنا كيف استشهدت أمها وأخويها أمام عينيها وبتلك الطريقة التي تقشعر لها الأبدان، وينزف لها القلب دماً من شدة بشاعة ذلك المشهد

<sup>1</sup> الرواية: ص154.

<sup>2</sup> الرواية: ن.ص.

وروعته في قولها: « عندما زحفت قوات أرييل شارون وحزب الكتائب ليلا على مخيمنا وأخذت تقصفنا بالمدفعية وقذائف الدبابات وتمطرنا بالرصاص انتابنا الخوف الشديد وأخذت أبكي وأصرخ...بينما حاول أخي الهروب خارج المخيم بعد أن أصابت قذيفة دبابة جدار بيتنا..لكن أحد القناصة عاجله برصاصة أصابته في ساقه فسقط أرضا وهو ينزف دما... »<sup>1</sup>، بعدها تتحدث عن مقتل والدتها وأخويها، « والدتي انفطر قلبها جزعا على وائل... وراحت تجري... لما وصلت إلى موضعه... أخذت تحاول أن تسحبه وفجأة تقدمت منا دبابة... فدهستهم حتى اختلطت دماؤهم بأضلاعهم واستشهد ثلاثتهم تحت جنزير دبابة الأعداء التي لم ترحم حتى أختي الرضيعة ».<sup>2</sup>

جسد الكاتب هذا الحدث بلغة معبرة، تتسم بالدقة والحيوية، ليعبر عن الواقع المأساوي الذي عاشته "حنين" وهي تسترجع تلك الذكريات المؤلمة، وتستحضر المشاهد المفجعة التي شاهدها، ولاشك أن المفردات التي وظفها في هذا المقطع توحى بالألم والقسوة.

لتختم حديثها عن هذه المجزرة، وتصور لنا بعض المشاهد من الدمار الذي خلفته إسرائيل « في الغد استفاق العالم على هول مجزرة غير مسبوقه منذ نكبة "1948" أكوام من جثث البشر فوق بعضها البعض... صراخ النساء وهنّ يستغثن حكام العرب ويصيحون وينكم يا عرب، كانت المرة الأولى التي تتخلى فيها الدول العربية عن التضامن فيما بينها والوقوف في وجه إسرائيل متحدة ».<sup>3</sup>

أما أحداث الفصلين الخامس والسادس فكانت تدور في لبنان، وذلك بزيارة "عماد" و"حنين" مقبرة شاتيلا للترحم على شهداء هذه المجزرة، ثم يأتي حدث افتراقهما في المطار لينتهي "دالع" روايته بالحديث عن لقائه بقائد حزب الله ورجاله والتحاور

<sup>1</sup>الرواية: ص157.

<sup>2</sup>الرواية: ص159/158.

<sup>3</sup>الرواية: ص160/161.

معهم حول الانتصارات التي قدموها، إلى أن يصل إلى قرية "مارون الراس" لتغطية الدمار الذي لحق أصحاب هذه القرية، والتقاط الصور واستجواب السكان. وبهذا كانت الأحداث في مجملها عبارة عن مجموعة من الوقائع التي حدثت في الوطن العربي عامة والفلسطيني خاصة، حيث نلاحظ أن جلّ هذه الأحداث لا تخرج من منطلق القضية الفلسطينية، التي عبرت عن معاناة الشعب الفلسطيني وآلامه، وقسوة الظروف التي يعيشها خاصة حياة اللاجئين الذين يعيشون خارج وطنهم، وصورت الجرائم التي مارسها العدو الصهيوني ضدهم وتحديدا في مجزرة شاتيلا. فقد استطاع الروائي نقل تلك الأحداث بلغة فصيحة ومفهومة، بعيدة عن المبالغة وهي على بساطتها تظل قادرة على معالجة هذه القضية، حيث نجد ألفاظها مستمدة من الواقع والتاريخ، وبعاطفة مشبوبة بالآلام والآهات، بالإضافة إلى الأسلوب السهل الممتنع الذي يخلو من التكلف والغريب ويتسم بالبساطة والوضوح، حيث جعل القارئ يعيشها ويتفاعل معها، فكان لها الأثر الكبير في نفسيته، وقد أبدع في توظيف الأحداث السياسية التي تخص الشعب الفلسطيني، وحاول رصد الجرائم التي قامت بها إسرائيل.

## 2/ آليات توظيف الشخصية:

تعد الشخصية الروائية من أبرز وأهم العناصر في البناء الروائي، فهي النقطة المركزية التي يركز عليها، وقد ينصب جل اهتمام الكاتب الروائي على هذا العنصر، فتكون المحور الرئيس الذي تتحرك به، ومن خلال عناصر البناء الفني الأخرى في الرواية.

### أ/ تعريف الشخصية الروائية:

هي كائن نصي معنوي وليس ماديا، يتجسد تشكليا وجماليا على الورق<sup>1</sup>، وهي محض الخيال يبدعه المؤلف لغاية فنية محددة<sup>2</sup>، ومن حيث طبيعة دورها الروائي تكون رئيسة تلك التي تدور حولها الأحداث وترتبط بها بشكل أو بآخر، بل هي المحرك الرئيس للحدث الروائي، ومترجمة بشكل مباشر أبعاد الفكرة الروائية الأساسية، وشخصية ثانوية معززة ومعقدة لجوانب الشخصية الرئيسية وداعمة لها، ومبلورة لدورها في الحدث الروائي.<sup>3</sup>

### ب/ آليات توظيفها:

لم يصرح الكاتب في بداية الرواية بشخصياته، حيث نجده يقدم حدث اللقاء بين شخصين دون ذكر اسمهما أو التعريف بهما، لكن من خلال الحديث يتضح لنا أنهما رجل وامرأة، اكتفى بتقديم وصف خارجي لتلك الشخصيتين، فبدأ بوصف بعض ملامح الدهشة والفرح والخجل التي بدت على وجهيهما نتيجة هذا اللقاء الذي جمعهما بعد فراق طويل، يقول السارد:

<sup>1</sup> محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي-دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان، ط1، الأردن، 2012، ص143.

<sup>2</sup> محمد عزام: فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، سوريا، 1996

<sup>3</sup> بشير عبد العالي: تحليل الخطاب السردي والشعري، دار الغرب، ط1، الجزائر، د.ت، ص53.

« عيون شاخصة، تعلق بها حواجب مدهوشة، وشفاه مدهولة، وجنات تخفي احمرارا خجولا، وأيدي ترتعش اضطرابا، وقلبان يخفقان وجعا، حتى أرجلهما لم تكد تحملانها لهول اللحظة »<sup>1</sup>.

فكان هذا اللقاء بمثابة صدمة قوية بالنسبة لهما، فالكاتب بالرغم من أنه لم يفصح عن هاتين الشخصيتين، إلا أننا نستنتج من خلال وصفه للقاء أن المرأة فلسطينية والدليل على ذلك المنديل الذي أهدتها إياه، والذي يحمل ألوان العلم الفلسطيني حيث يقول السارد: « وضع يده جيب سترته، وسحب منديلا مطرزا بخيوط سوداء وحمراء و خضراء ومدته إليها...وسرعان ما أشرق وجهها بالسعادة وهي تتفحص المنديل الذي طرزته بيديها ذات يوم، ودونما تدري بادرتة بالسؤال " أليس هذا هو المنديل الذي أهديتك إياه منذ عشر سنين؟".

أوما بالإيجاب دون أن يتكلم »<sup>2</sup>

وبعد وصف طويل لهذا اللقاء، يكشف الكاتب عن اسم بطلي روايته، وبالتحديد في حديثه عن القضية الفلسطينية؛ تبين لنا أن الشخصية الرئيسية الأولى هي شخصية "عماد"، والتي كان لها حضور قوي في الرواية، فهو صحفي جزائري يعمل كمراسل حربي في جريدة "العرب" الجزائرية، يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين سنة، كان هدفه الوحيد تغطية وقائع العدوان الإسرائيلي على لبنان، والوصول إلى أحد قادة حزب الله لإجراء حوار معه حول الهزائم التي تلقتها إسرائيل على يد هذه القوة الهائلة.

لقد ظهرت هذه الشخصية على مستوى الخطاب السردى بشكل مكثف، ولكنهما لم تمنح حقها من الوصف الخارجي، فعلى الرغم من إخفاء مظهره الخارجي علينا، إلا أننا استطعنا

<sup>1</sup> الرواية : ص 11.

<sup>2</sup> الرواية : ص 14.

أن تكشف ملامحه الداخلية من خلال مناجاته النفسية من جهة وحواراته مع الشخصيات الأخرى من جهة أخرى بالإضافة إلى بعض الصفات التي منحها له السارد، فقد أحسنا ببعض الصفات الداخلية التي ميزته، من بينها الرجولة والإخلاص والشجاعة والوفاء حيث بدت واضحة مقدرته وشجاعته على التجوال في أرض غريبة عنه مليئة بالحرب دون أن يخشى الموت، في قول السارد: «أرهق عماد ليلتها كثيرا وقضاها يمشي في شوارع بيروت الخالية...، ورغم أن صفارات الإنذار لم تكف عن الصراخ إلا أنه لم يبال بها...، وبين الحين والآخر كان يسمع دوي انفجارات هائلة تمزق سكون الليل لكن ذلك لم يشعره بالخوف... ربما لأن سنوات العشرية الحمراء التي مرت بها الجزائر خلال التسعينات أعطته حصانة ضد الخوف»<sup>1</sup>.

يتصف "عماد" بالإيمان القوي بالإيمان القوي، والمواظبة على الصلاة، وقراءة القرآن رغم المتاعب ومشاق العمل إلا أنه لا يترك صلاته التي هي عماد الدين، فاسمه يوحي إلى استقامته في دينه، حيث يقول السارد: «وانقطع سبيل تفكيره عندما أذن المؤذن لصلاة المغرب، فتوضأ وصلى في اطمئنان»<sup>2</sup>. ويقول في موضع آخر حيث يصفه بالصبر: «أنهى عماد تفريغ الحوار بعد نحو ساعتين، وراح النعاس يداعب جفونه ولم يبق على أذان الفجر سوى نصف ساعة، وراح يغالب نفسه على الصبر هذه المدة القصيرة، حتى يصلي الصبح... فقد كانت صلاة الفجر دوما الترمومتر الذي يقيس به درجة إيمانه»<sup>3</sup>، فكانت الصلاة تشعره بالراحة والطمأنينة «صلى ركعتين شكرا لله على ما منّ عليه من نعم، وأكثر من الدعاء الذي كان يشعره بالراحة والطمأنينة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرواية : ص49.

<sup>2</sup> الرواية : ص50.

<sup>3</sup> الرواية : ص93.

<sup>4</sup> الرواية : ص94.



ينقل لنا الروائي سعادة "عماد" من خلال تحقيق هدفه الأول وهو لقاءه بأحد قادة حزب الله، والتعرف على مركزهم السري، والعتاد الذي يحمله هذا الحزب، والانتصارات التي حققها ضد العدو الإسرائيلي الظالم، الذي لم يهزم إلا على يد هذه القوة التي باستطاعتها تدمير العالم بأكمله « عاد عماد إلى بيته منهك الجسد، سعيدا بما حصل عليه من سبق صحفي،.. لم يجد في نفسه رغبة في النوم، فقد كان متحمسا لكتابة هذا الحوار خاصة وأن جزءا منه لم يتمكن من تسجيله إلا في ذاكرته »<sup>1</sup> فبعد هذا الحوار أصبحت لديه ثقة كبيرة في قوة هذا الحزب، فإسرائيل لن تهزم أبدا هذا الجيش الأسطوري حيث يختم الروائي روايته بقول "عماد": «.. فلن تذوق إسرائيل طعم النصر في حروبها بعد اليوم أبدا ».<sup>2</sup>

ثم ينتقل إلى تصوير ألمه وحزنه وشفقته على "حنين" وعلى الشعب الفلسطيني حيث كانت تروي له تفاصيل مجزرة شاتيلا، وما تعرض له هذا الشعب من قتل وتعذيب وسجن « لم يشعر عماد بالألم والشفقة على حال حنين مثلما يشعر به الآن، هذه الفتاة الجميلة المفعمة بالحيوية تختزن كل هذه الآلام والجراح الدفينة التي لم يسبق لها وأن روت له فصولها قبل اليوم ».<sup>3</sup>

هذه الشخصية جعلها "دالع" عاشقة لفلسطين، فالجزائر وفلسطين بلد واحد حيث يقول حين كانا يتجولان في مخيم شاتيلا: « رائحة الأكلات الشعبية الفلسطينية... أعزت عماد بتذوقها حتى ينعش فكره العاشق لفلسطين مهد الأنبياء والرسالات..، ويتذكر عماد أن بعض الطلبة الجزائريين لاموه كثيرا لأنه كان مفرطا<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الرواية : ص92.

<sup>2</sup> الرواية : ص218.

<sup>3</sup> الرواية : ص155.

<sup>4</sup> الرواية : ص167/168.

فيحبه لفلسطين، ولكنه كان يرد عليهم الجزائر وفلسطين وجهان لعملة واحدة لا يمكننا أن نفاضل بينهما، فنحن أمة واحدة»<sup>1</sup>. فهو يحب فلسطين كما يحب وطنه فهو متفائل بانتصارها على هذا العدو الذي يسعى إلى محو الشخصية الفلسطينية ومقوماتها وكل ما يتعلق بفلسطين.

وقد نجح "دالع" في تسليط الضوء على هذه الشخصية النامية المتطورة التي تأتي بكل جديد، وتسهم من قريب ومن بعيد في صنع أحداث الرواية ونقل بعضها وتحليلها فهذه الشخصية رمز للمتقف، تعانق القضية العربية وكأنها قضيتها.

أما الشخصية الرئيسية الثانية في تفعيل الأحداث فهي شخصية "حنين"، والتي تحتل دورا بارزا ومميزا في الرواية، فهي امرأة فلسطينية من أب فلسطيني وأم جزائرية، يتجاوز عمرها الثلاثين سنة، تعمل دكتورة في الاقتصاد في جامعة الشارقة، ومن خلال وصف قصير لهذه الشخصية يتبين لنا أنها بيضاء البشرة وفاتنة الجمال، لها شعر حريري انسيابي: « وعلى غفلة منها، تفلت دموعه محترقة..تحاول عبثا إلقاء القبض عليها على عتبات جفونها، أن تبتلعها بأشفارها المدعجة بالسواد، تقوم بحركة سريعة..لعرققتها..على وجهها المتعلق بياضا»،<sup>2</sup> « قد جاوزت الثلاثين لتغرس شفرتين من الشيب وسط شعرها الحريري الانسيابي»<sup>3</sup>، « توهج ثغرها حتى لمعت منه أسنان كالدرر»<sup>4</sup>. فالراوي اكتفى بهذا الوصف لبعض الملامح الخارجية لهذه الشخصية.

فهذه الشخصية ترمز إلى الوطن، إلى فلسطين، إلى الشعب الفلسطيني، فكان الحنين هو الشعور المسيطر عليها، الحنين للماضي، حنين لأرض الوطن فلسطين، حنين للأهل

<sup>1</sup>الرواية : ص168.

<sup>2</sup>الرواية : ص13.

<sup>3</sup>الرواية : ص108.

<sup>4</sup>الرواية : ص187.

الأم والأب، الأخ والأخت، فهي تمثل صورة المرأة الحاملة لقضية شعبها، شخصية ذات طابع مأساوي مستوحاة من رحم المعاناة، حاولت بتجربتها ووعيتها السياسي أن تتقل لنا الواقع المرير، واقع الهزيمة والانكسار، فهي تستخدم تقنية الاسترجاع أو ما يطلق عليه بتقنية "الFLASH باك" فتسرد جوانب من ماضيها الأليم، حيث عرفت مأساة اللجوء وويلاتها، عندما تركت الوطن واتجهت إلى المجهول، فترك الوطن هو موت أيضا لكن بشكل مختلف.

ولدت وعاشت "حنين" في مخيم "شاتيلا" في لبنان، للاجئين الفلسطينيين تقول:

« لقد ولدت وعشت طفولتي في لبنان، في مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين وسط النار والدماء.. والدموع. فتحت عيناى على رائحة الدخان، وعلى الحرب الأهلية اللبنانية»<sup>1</sup> فكان باديا على وجهها الحزن والألم والحرمان خاصة عندما تتحدث عن الإهانة التي تلقاها الشعب الفلسطيني في الأردن بعد طردهم من وطنهم، توجهوا إلى الأردن لكن هذا الأخير أجبرهم على الرحيل من بلده ليتجهوا إلى لبنان ومرة أخرى طردوا منها بأمر من إسرائيل ليتوجهوا إلى تونس وهكذا بقيت حياة هذا الشعب المظلوم من بلد لآخر.

جسدت هذه الشخصية دور الضحية أمام هذه المعاناة، فهي لا تعبر عن نفسها فحسب بل هي لسان المغتربين عن الوطن، فالسارد ينقل لنا على لسانها حالة ضياع هذا الشعب بعد هجر وطنه، وفقدان تاريخه وعرويته، فهو إحساس بالتشوه والضياع وهو يبحث عن مأوى يحميه من مكر العدو الإسرائيلي.

<sup>1</sup> الرواية : ص152.

ونلاحظ أنّ المستوى الاجتماعي من أبرز وجوه هذه الشخصية حيث جرعت مرارة تفكك أسرتها الصغيرة، وعيشها ومعاناتها داخل المخيمات، فهي حين تروي لنا الطريقة التي قتلت بها أمها وأخويها فلن تدمع العين فقط، بل ينزف القلب دما من هذه الطريقة البشعة التي تقشعر لها الأبدان، وهنا عمد الكاتب للغوص في داخل نفسية "حنين" ورصد ما يختلج داخلها، فكان الشعور بالحزن والخوف والألم لا يفارقها وهي تسرد لنا الجريمة التي ارتكبت في حق أسرتها «وعندما زحفت قوات أرييل شارون...مخيمننا وأخذت تقصفنا بالمدفعية...انتابنا الخوف الشديد وأخذت أصرخ وأبكي».<sup>1</sup>

ثم ينقل لنا السارد التفاؤل والأمل اللذان تشعر بهما "حنين" حين نظرت إلى المنديل المكتوب عليه (القدس لنا)، فهذا بعث في نفسها التفاؤل بأن فلسطين ستحقق الانتصار وتحرر من قهر الصهاينة حيث يقول السارد: «تسحب من حقيبتها منديل الأمس وتمسح به دموعها، ثم تفتحه وتنظر إلى الكلمة التي طرقتها بيدها عليه: (القدس لنا) ويمنحها ذلك رغبة في الصمود أمام دموعها».<sup>2</sup>

فكان هذا الحزن الذي يسكن داخلها نتيجة خيبة أملها في الشعب العربي الذي تخلى عن لبنان ولم يسانده، ينبعث إحساسها بالقومية العربية ملامسة الجرح بجراحها من وحدتها التي تعانق القضايا العربية بمختلف أنواعها، فمن المعاناة والظلم، وكل أنواع المأساة الإنسانية جاء إحساسها بالآخرين، من الإحساس بالذات ومدى تألمها.

ثم يعود الراوي إلى تسجيل حنينها إلى الماضي، إلى طفولتها، والشوق للعودة إلى الوطن، وذلك عند زيارتها لمخيم شاتيلا، «وفضلت حنين الترحل من المخيم إلى المقبرة حتى تسترجع ذكريات الطفولة التي تحن إليها ..، حارات المخيم الضيقة توحى بحميمية المكان ..الكتابات الحائطية والتي تحمل شعارات عدة منظمات»<sup>3</sup>

<sup>1</sup>الرواية : ص156/157.

<sup>2</sup>الرواية : ص157.

<sup>3</sup>الرواية : ص167.

فلسطينية تعكس مدى شوق هؤلاء للعودة الى وطنهم الأم رغم أن الكثير منهم لم يروه حتى يوم ولدوا، لكن حق العودة مازال مغروسا في فكرهم متجذرا في عقولهم».<sup>1</sup>

يمدنا السرد بسمات أخرى تخص هذه الشخصية، حيث تبدو أنها تتسم بالصرامة والهدوء والتحلي بالصبر: «جثت حين على ركبتيها وهي تحرق في قبر والدتها وأخويها وصورة مقتلهما لا تفارق عينيها، لكنها متجلدة الصبر، ولم تذرف دموعا هذه المرة».<sup>2</sup>

فكان الحزن رفيقها الدائم من بداية الرواية إلى نهايتها حتى في ابتسامتها وفرحها وبهجتها فكانت كلها موسومة بطابع الحزن والألم والحسرة. حيث يقول السارد «ابتسامتها الغارقة في الحزن لا تفارقها ولو أنها كانت أكثر اطمئنانا وهي تتأمل شوارع بيروت المتلألئة ليلا»<sup>3</sup>، فكانت هذه الابتسامة الحزينة نتيجة افتراقها مع عماد وخشيتها أن يكون هذا اللقاء آخر لقاء بينهما.

إن هذه الشخصية تمثل فلسطين، فقد كانت هداياها كلها تحمل رمزا عن فلسطين وتعتبرها نوعا من النضال حتى تبقى صورتها لدى كل عربي «كل هداياها كانت تحمل رمزا سياسيا أم دلالة عن فلسطين فقد كانت تجيد تسويق صورة بلدها المكافح حتى في أبسط المناسبات، وكان هذا بالنسبة لها نوعا من النضال حتى تبقى فلسطين حاضرة في قلب كل عربي ومسلم».<sup>4</sup>

صورت الرواية حياة هذه المرأة الفلسطينية التي كانت تكابد الأحزان والكوارث وفقدان الأرض والأهل، فقد عبرت الرواية من خلالها عن الواقع المزري الذي ضاعت فيه حقوق الناس البسطاء وماتت فيه أحلامهم البسيطة، ونجد الكاتب وفق في إبراز معاناتها بشكل

<sup>1</sup> الرواية : ص167.

<sup>2</sup> الرواية : ص169.

<sup>3</sup> الرواية : ص182.

<sup>4</sup> الرواية : ص187/188.

رمزي عميق، وركز عليها أكثر من الشخصية الأساسية الأولى في سرد معاناة الشعب الفلسطيني بحكم أنها عاشت ذلك الواقع المرير، وأن صورة المرأة أكثر رهافة وحساسية وأشدّ وضوحاً في تعبيرها عن هذا الواقع من صورة الرجل، واكتفى الراوي بالناحية النفسية لهذه الشخصية، فالاسم جعله تابعاً لهذه الناحية ومستمدداً منها، فهو يحمل دلالة الحنين إلى الوطن، إلى الماضي، إلى الحرية، فكان الألم والحزن والمعاناة القاسم المشترك في هذه الشخصية.

عمد الراوي إلى محاولة التغلغل في أعماق شخصياته، بالتوغل داخل أفكارها لنقل شعورها، وما يجوب خاطرها من إحساسات، ونلمح تكرار شخصيتي "عماد" و"حنين" فهما يحتلان القسم الأكبر من مساحة الرواية باعتبارهما شخصيتين رئيسيتين ومن الوحدات الفاعلة في سير الأحداث وتفعيلها، فمن خلالهما استطاع الكاتب فضح الجرائم التي ارتكبتها إسرائيلي بحق الشعب العربي عامة والفلسطيني خاصة.

أما بالنسبة للشخصيات الثانوية نجدها أقل حضوراً من الشخصيتين الأساسيتين فكل شخصية ثانوية تؤدي دوراً ثم تختفي لتحل محلها شخصية أخرى، فقد استعان "دالع" بشخصيات مساهمة في الكشف عن جرائم العدو الإسرائيلي، فمعظمها بلا عمل؛ أي أنها لا تقوم بأدوار محددة، وإنما هي شخصيات تقوم بالاسترجاع والتذكر.

وأول شخصية ثانوية كانت شخصية "أبو وائل" والد "حنين" أحد قادة المقاومة في الخارج، والذي كان يجري حوارات مع "عماد" حول القضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني في الداخل.

ثم تأتي شخصية المرأة التي لم يصرح الكاتب باسمها، ولكن من خلال وصفها لنا يتضح أنها شخصية شريرة وبشعة، وهي تدل على العدو الإسرائيلي، حيث يقول:

« وعندما فتح الباب، ظهرت له امرأة تحاول إخفاء مظاهر الدمامة من وجهها عبر طلاء وجهها بالمساحيق وكأنها جلود ضحاياها من الرجال ملتصقة على بشرتها وشفاه شديدة الاحمرار وكأنها دماء الأبرياء تستلذ شربها مع آخر الليل، وأنف معقوف كأنف الساحرات والمشعوذات ». <sup>1</sup> فقد عبر الكاتب عن إسرائيل من خلال هذه الشخصية الشريرة التي تقتل الأبرياء بدون رحمة ولا شفقة.

ونجد شخصية "أبو العلاء" أحد مقاتلي حزب الله، ووالد الطفل الذي قدم له "عماد" المساعدة، وهو القائد الميداني الذي يريد "عماد" إجراء حوار معه، وكان لهذه الشخصية دور في التعريف عن قوة حزب الله الذي باستطاعته هزيمة أي عدو ظالم، وكان الاسم الحقيقي لهذه الشخصية هو: "محمود حرب".

بالإضافة إلى شخصية "تبيه شرابي" رئيس تحرير جريدة العرب التي يعمل بها "عماد"، والذي كان همه الوحيد أن ترتفع أسهم جريدته من خلال نشره للحوار الذي أجراه "عماد" مع قائد حزب الله "أبو العلاء".

ونجد شخصية "وزير الخارجية الجزائري" الذي كان دوره المشاركة في مؤتمر إعادة إعمار لبنان بعد العدوان الإسرائيلي.

وشخصية "تامر زكي" الصحفي المصري الذي يعمل مراسلا لحساب جريدة "الواشنطن نيوز" الأمريكية، والذي كان هدفه الاستفسار عن قائد حزب الله للوصول إليه، فكانت هذه الشخصية تمثل الشر والخداع.

ونجد آخر الشخصيات الثانوية شخصيتي "أبو يوسف" و"أبو داوود" من رجال حزب الله، واللذان كشفا لـ "عماد" الانتصارات التي حققها هذا الحزب ضد إسرائيل في معركة

<sup>1</sup> الرواية : ص 47/48.

"مارون الراس" التي تدعى "بمقبرة دبابات الميركافا" التي تلقت فيها إسرائيل الهزيمة التي لن تنساها مدى الحياة.

من هنا نجد أنّ هذه الشخصيات الثانوية لم يكن لها الحظ الوافر في الظهور فمعظمها ظهر مرّة واحدة، فهي شخصيات مساعدة فقط.

إنّ الكاتب أدرج شخصيات حقيقية سواء من التاريخ أو من التراث الأدبي أو الديني من الماضي أو الحاضر، وكل هذا من أجل أن يدل على وضعية العالم العربي الراهنة هذا العالم الذي أصبح تحت رحمة الأيدي القوية، بالإضافة إلى رجوعه للتراث التاريخي العربي وحاول استحضار شخصية "الأمير عبد القادر" التي وظفها الكاتب "نموذج للمثقف الجزائري في القرن التاسع عشر، الذي استوعب ثقافته التراثية الدينية، وتمثلها أحسن تمثيل"<sup>1</sup>، هذه الشخصية على لسان "عماد" عندما سأل "حنين" أن كانت أمها من أحفاد الأمير عبد القادر وأومات بالإيجاب، فهو يعتبر من أهم وأعظم الشخصيات التي عرفتها الجزائر، نظرا للدور الذي لعبه في مقاومة الاستعمار الفرنسي وإعادة بعث وإحياء الدولة الجزائرية.

إضافة إلى ذلك نجده يستدعي شخصية الرسول ﷺ من الموروث الديني تبرز هذه الشخصية من أكثر الشخصيات شيوعا وتأثيرا في الإنسان على مرّ العصور وجاء توظيفها من باب إضفاء السمات الدينية على هيئة شخصية "عماد".

وعليه فإنّ الكاتب من خلال شخصياته، استطاع أن ينقل واقع الشعب الفلسطيني فقد كانت شخصية "حنين" معبرة عن ذلك الواقع المأساوي الذي عاشته، بلغة نرى أنها تمتلئ بهموم الجماعة مستمدة من مرارة التجربة.

<sup>1</sup> عميرايوي أحميدة: الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص169.



### 3/ آليات توظيف الزمان:

يعدّ الزمن عنصراً مهماً في الرواية فهو الرابط الحقيقي للأحداث والشخصيات والأمكنة، حيث تعتبر الرواية من أكثر الفنون الأدبية التصاقاً به، فلا يتم السرد إلاّ بوجوده.

لم تسر رواية "جراح الصمت" في سرد أحداثها على وتيرة واحدة، بل يتقطع التسلسل الزمني، لتتقدم أحداثاً وقعت في وقت سابق، فلا يمكن للحكاية أن تكتمل بدون الرجوع لأحداث الماضي، غالباً ما تأخذ شكل ذكريات أو استرجاعات وهو ما يسمّى بتقنية "الفلاش باك"، فتتصل بالماضي وتتداخل الأزمنة وتتشابك، ولكن يبقى الحاضر هو العمود الفقري. وسنختص بدراسة الاسترجاعات التي وظفت في الرواية ذلك لأنها اعتمدت على هذه التقنية في سردها للأحداث.

فالاسترجاع يعتبر تقنية زمنية، يستطيع السارد من خلاله الرجوع بالذاكرة إلى الوراء سواء في الماضي القريب أو البعيد، ثم يعود إلى أحداث حاضرة، فهي تقنية يعتمد فيها الراوي على ذاكرة السارد أو الشخصيات،<sup>1</sup> وينقسم الاسترجاع إلى قسمين:

**استرجاع خارجي:** يعرفه "جيرار جينيت" بأنه: « ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى»<sup>2</sup>، أي ما قبل بداية الرواية.

**استرجاع داخلي:** وهو استعادة أحداث وقعت ضمن زمن الرواية<sup>3</sup>، أي بعد بداية الرواية وانطلاق الأحداث.

<sup>1</sup> ينظر: محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي-دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان، ص 177.

<sup>2</sup> جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وعبد الجليل وعمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، 1997، ص 60.

<sup>3</sup> المرجع نفسه: ن.ص.

تبدأ الرواية من لحظة وصول "عماد" و"حنين" إلى لبنان، حيث يقوم الفصل الأول بعرض مجموعة من الاسترجاعات الخارجية التي تعرض حياتهما قبل عشر سنين وبعض الأحداث التي وقعت في الوطن العربي، فكان أول استرجاع على لسان "عماد" والمتمثل في احتلال الأمريكان للعراق وما فعلوه للشعب العراقي والصحافيين العرب ثم تسترجع "حنين" نكبة 1967، وحرب أكتوبر 1973، التي حقق فيها الوطن العربي انتصارا عظيما ضد إسرائيل، لتختتم الفصل الأول باستدعائها لأيام الجامعة حين كانا يدرسان مع بعضهما.

ينظم بعد ذلك السرد في بداية الفصل الثاني وما تلبث الاسترجاعات أن تعود في الجزء الأخير من هذا الفصل، فيسترجع "عماد" الثورة الجزائرية والعشرية السوداء وحرب الخليج الأولى عام 1991، والثانية عام 2003، ثم نجد تصريحا زمنيا باحتلال إسرائيل لبيروت عام 1982.

يعود الراوي إلى الزمن الحاضر في الفصل الثالث، بنقله لأهم مجريات الحوار الذي أجراه "عماد" مع "أبو العلاء".

ويقوم الفصل الرابع بإعطاء تفاصيل أكثر أثناء الاسترجاع الطويل الذي ألى بحنين إلى تذكر طفولتها وتاريخ أسرتها، حيث تعود بذاكرتها ما يقارب أربعة وعشرين سنة وتروي لنا ما جرى في مجزرة صبرا وشاتيلا عام 1982، وعن المعاناة التي يعيشها هذا الشعب خارج وطنه، فتقول حين استرجاعها لطفولتها: «لقد ولدت وعشت طفولتي في لبنان، في مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين وسط النار والدماء.. والدموع.. فتحت عيناى على رائحة الدخان، وعلى الحرب الأهلية اللبنانية».<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الرواية : ص152.

تستدعي حنين ذكريات طفولتها في المخيم، عن طريق الرجوع إلى الماضي لتكمل بذلك المشهد العام للرواية، وتروي لنا ذكريات التهجير التي تعرضت لها هذه الشخصية وغيرها من اللاجئين الفلسطينيين، حيث مهّدت لهذا الحدث باستحضارها لنكبة 1948 التي كانت رابطاً قوياً بين الزمن الحاضر والزمن المنصرم: «فبعد نكبة 1948، لم يعد للفلسطينيين من أرض يلجؤون إليها... سوى أرض إخوانهم العرب وكانت الأردن أقرب إلينا،.. لذلك لجأ إليها الكثير من الفلسطينيين.. لكن الأردن ارتكب.. مجزرة في حق الفلسطينيين وأجبر مجاهدي منظمة التحرير على مغادرة أرضهم»<sup>1</sup>

فهذا المقطع يعبر عن التجربة التي عاشها الشعب الفلسطيني بعد نكبة 1948 والمعاناة التي لحقته نتيجة طرده من وطنه الأم، وجاء هذا الاسترجاع ليسد الفراغ الذي حصل في هذه الرواية، والعودة إلى أحداث 1982 التي أشار لها الروائي في الفصل الثاني.

تواصل حنين وصف هذه المجزرة المرتكبة في حق الشعب الفلسطيني خارج دياره والتي قتل فيها أكثر من ألفي فلسطيني ولبناني في يوم واحد: «.. قصفوا المخيم بشكل همجي.. وهنّمت البيوت فوق رؤوس أصحابها، وجمع المعتدون الرجال والنساء والأطفال في مكان واحد وأخذوا بتقتيلهم بشكل جماعي... كان أمرا رهيبا ومروعا فهذه المجزرة التي قتل فيها ألفي فلسطيني ولبناني في يوم واحد».<sup>2</sup>

حيث ساعد هذا الاسترجاع على فهم أحداث المجزرة، وأتى إلى إبراز عنصر التشويق والرغبة في معرفة المزيد من تفاصيل هذه المجزرة.

<sup>1</sup> الرواية : ص153/154.

<sup>2</sup> الرواية : ص154/155.

ثم تنتقل لتسرد لنا تفاصيل مقتل أمها وأخويها، بطريقة تدمع لها العين من بشاعة ذلك المشهد وقسوته، والذي خلف لها جرحا لن يندمل رغم مرور السنين، فقد كان استرجاعها لهذا الحدث يحمل طابعا مأساويا كشفت من خلاله حقيقة العدو الإسرائيلي الذي قهر الشعب الفلسطيني داخل وطنه وخارجه، والذي لم يرحم حتى الأطفال الأبرياء فمقتل أسرتها أمام عينيها مقترن لديها بضياح فلسطين وخسارتها لكل شيء في الحياة حيث فقدت الأمن والاستقرار، فالعدو الذي دمر أهل فلسطين وهجرهم، أتى ليدمر لبنان ويهجر الفلسطينيين المستوطنين في هذا البلد. فاستعمال الزمن الماضي هنا ليس لإلقاء الضوء على ماضي هذه الشخصية الحزينة بقدر ما كان تواسلا بين الماضي والحاضر حيث أوقفت الشخصية الزمن الحاضر لتعود للماضي زمن وقوع الحدث وتستدعيه بكل تفاصيله المؤلمة.

يصنف الاسترجاع في هذا الفصل ضمن الاسترجاعات الطويلة، ذات السعة الزمنية الكبيرة والتي تقاس بعدد الصفحات التي احتواها هذا الاسترجاع حيث قُوت بـ"اثني عشرة" صفحة، والتي توسعت بها شخصية "حنين" وهي تسرد الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي.

كانت هذه أهم الاسترجاعات الخارجية التي كشفت لنا مجموعة من الأحداث المؤلمة على لسان الشخصية الرئيسة "حنين"، أما بالنسبة للاسترجاعات الداخلية، فكانت تخص اللقاء الذي كان بين الشخصيتين الرئيسيتين، أو حول المحاضرة التي ألقته "حنين" في المؤتمر، بالإضافة إلى موضوع نشر الحوار الذي دار بين "عماد" و"أبي العلاء".

فهذه الاسترجاعات الداخلية لا تهمنا لأن موضوعها لا يتعلق بالقضية الفلسطينية لذا تحدثنا عنها بإيجاز.

ومنه نستنتج أن الاسترجاعات الخارجية أسهمت بدور ملحوظ في تأسيس زمن الخطاب الروائي، حيث ساهمت في ربط الماضي بالحاضر وكسر وتيرة الزمن وهذا ما سهّل على المتلقي مهمة إعادة ترتيب أحداث الرواية في خياله، فكانت أحداث الماضي متفوقة كمياً على تلك الأحداث التي يضطلع بها الحاضر، إذ تغطي ثلثي الرواية موزعة على فصولها ما عدا الفصل الأخير الذي تفرد بذكر أحداثه الآتية.

إن الكاتب وفّق في استحضار القضية الفلسطينية من خلال هذه الاسترجاعات التي جعلت الماضي الأليم مهيمناً في حضوره، فكان الانطلاق من الحاضر وهو العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 2006 إلى الماضي وما يحمله من أحداث تاريخية، خاصة مجزرة شاتيلا عام 1982، التي صورت مأساة اللاجئين الفلسطينيين بطريقة جعلت القارئ يعيشها.

4/آليات توظيف المكان:

التعريف المكان: يحتل المكان حيزا كبيرا وهاما في الرواية، ذلك أنه لا أحداث ولا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ ودون مكان<sup>1</sup>، فهو المجال الذي تسير فيه أحداث الرواية من تحويلات على مستوى أفعال الشخصيات<sup>2</sup>، ومن هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب، بل كعنصر حكائي قائم بذاته، إلى جانب العناصر الفنية الأخرى<sup>3</sup>، ومن ذلك نجد أن المكان عنصرا أساسيا في الرواية، بحيث لا يمكن للشخصيات أن تتحرك إلا من خلاله.

ب/آليات توظيفه :

إنّ المكان يعبر عن هوية كل شخصية في الرواية، فهو يثير الإحساس بالمواطنة والانتماء، فقد حرص "دالع" أثناء تشكيله للمكان الذي تجري فيه الأحداث على أن يكون منسجما مع شخصياته، لأنه يجب أن يكون هناك تأثير متبادل بينهما.

تعتبر "بيروت" المكان الرئيسي الذي تنطلق منه الأحداث، فهذا المكان يستقبل شخصيات مختلفة متعددة المستوى، فهو الذي جمع بين المتحابين بعد فراق طويل وهو المكان الذي يذكر "حنين" بماضيها الأليم، بما جعلها تسترجع كل ذكرياتها وهو المكان الجميل الذي حولته إسرائيل إلى كتلة الخراب والدمار في قول الراوي:

<sup>1</sup> محمد عزام: فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع ط1، سوريا، 1996، ص111.

<sup>2</sup> محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي -دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان، ص196.

<sup>3</sup> حميد حميداني: بنية النص السردى من المنظور النقدي الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991، ص63.

« مشيا مسرعين تحت خيوط المطر المتساقطة كصواريخ العدو الإسرائيلي التي تهاطلت على بيروت مدينة الأحلام العربية لتحولها إلى كتلة من الخراب والدمار ».<sup>1</sup>

وقد كان هذا المكان هو المنفذ الوحيد للفلسطينيين بعد أن هجرتهم إسرائيل، فاتجهوا إليه هربا من الموت الذي حاصر فلسطين، ومن الحرب والظلم والقتل، فكان البلد العربي المرحب بهم بعد أن طردوا من الأردن، رغم ملاحقة إسرائيل لهم إلا أن هذا البلد لم يطردهم تقول "حنين" :

« فلجانا إلى إخواننا في لبنان ونصبنا مخيماتنا في هذا البلد العزيز، لكن إسرائيل ظلت تطاردنا.. بل أصبحت تعتدي على لبنان وتضغط علينا لمنعنا من الهجوم عليها انطلاقا من أراضيها ».<sup>2</sup>

ينتقل الراوي للحديث عن قرية "مارون الراس" التي ذهب إليها عماد لتغطية تفاصيل الحرب التي دمرت هذه القرية بشكل رهيب .

« عندما وصل "عماد" إلى "مارون الراس" تفاجئ لحجم الدمار الهائل بفعل القصف الوحشي لقوات العدو لهذه القرية .. شرع مراسل جديد جريدة العرب الجزائرية مباشرة في التقاط صور للمكان واستجواب السكان الذين بدؤوا يعودون إلى بيوتهم ليجدوها صارت كومة من الخراب وبقايا لأشلاء بشرية متفحمة تحت الهدم »<sup>3</sup>، بالإضافة إلى قرى أخرى في الضاحية الجنوبية للبنان، والقرية من الحدود الفلسطينية كقرية "بنت جبيل" و"عين الشعب" وقرية "العجر"، كلها قرى تضررت في هذه الحرب.

<sup>1</sup> الرواية: ص 21.

<sup>2</sup> الرواية: ص 153.

<sup>3</sup> الرواية: ص 200/199.

ثم يلقي الراوي الضوء على المكان الروائي المتمثل في "مخيم شاتيلا" الذي قاما "عماد" و"حنين" بزيارته قبل مغادرتهما للبنان، فهو يحمل في طياته ذكريات مهمة "لحنين" التي ولدت وعاشت طفولتها في هذا المخيم والذي يعد قضاء نموذجيا للحي الشعبي المعزول على العالم، والمحروم من أدنى شروط الحياة، فهو مكان فلسطيني بحث من حيث شكله الخارجي وتفاصيله لأنه يحمل هوية كل فلسطيني يعيش في هذا المكان.

ومن خلال تتبع بعض المقاطع الوصفية لهذا المكان، وما يشمله من أماكن فرعية كوصف جاراته الضيقة ومطاعمه التقليدية يتبين لنا الواقع الاجتماعي واقع بائس والظروف الصعبة التي يعيشها ذلك الشعب يقول السارد: «حارات المخيم الضيقة توجي بحميمية المكان رغم الفقر المرتسم على وجوه الناس، الكتابات الحائطية التي تحمل شعارات عدة منظمات فلسطينية تعكس مدى شوق هؤلاء للعودة إلى وطنهم الأم رغم أن الكثير منهم لم يروه حتى يوم ولدوا لكن حق العودة مزال مغروسا في فكرهم... رائحة الأكلات المشبعة بالبهارات أغرت عماد بتذوقها حتى ينعش فكره العاشق لفلسطين مهد الأنبياء والرسالات»،<sup>1</sup> ويقول أيضا :

"فالحركة كثيفة داخل المخيم حتى ليلا والأضواء تنير الحارات العابقة بالعطور والأطياب والأقمشة والألبسة الجاهزة، وصورة الأقصى موسومة في كل مكان حتى على الكوفيات والملابس والأواني الفخارية، كل شيء يذكرك بفلسطين وكأنك في حارة من حاراتها".<sup>2</sup>

ومن هنا كان المخيم المكان الوحيد الذي يذكرهم ببلدهم الأم فلسطين الأسطورة التي تحترق من أجل العدالة، فرغم الحرب إلا أن "حنين" متشبثة بموطنها، ورغم الابتعاد

<sup>1</sup> الرواية: ص168/167.

<sup>2</sup> الرواية: ص171/170.



عنها إلا أن الاتصال بها يكون روحياً، فهي حاضرة في الكيان الداخلي، والرغبة في العودة إلى الوطن هي التمسك بالعروة الوثقى المتمثلة في حب فلسطين، فهذا المكان يشكل الماضي والتاريخ وذكريات الطفولة والحلم الضائع وقوة الانتماء.

هذه أهم الأمكنة المفتوحة التي جرت فيها أحداث الرواية، أما الأمكنة المغلقة فهي كالآتي:

**قاعة الشاي:** والتي كانت أول مكان يتوجه إليه "عماد" و"حنين" عند لقاؤهما في لبنان، والذي كان يشعرهما بالهدوء والطمأنينة، « دخلا قاعة الشاي الفاخرة وصعدا إلى الطابق العلوي الأكثر هدوءاً ورومانسية، والذي تطل نافذته على البحر». <sup>1</sup>

كان هذا المكان كفيلاً باسترجاع ذكريات "حنين" مع خطيبها "عماد"، بالإضافة إلى استرجاعها لبعض الأحداث التي حصلت في الوطن العربي كنبكة سنة 1967 وحرب رمضان سنة 1973، فحلفت بها بذكرياتها إلى غياهب الماضي.

**البيت:** فمن خلال وصف السارد تجد أنه بسيط متواضع، ثمّنه لم يكن باهظاً فهو المكان الذي اتجه إليه "عماد" بعد أن كان يقيم في فندق راقٍ، « لم يكن بيته المتواضع هذا سوى غرفة واسعة مع مطبخ وحمام، ومع ذلك كانت مرتبة ومنظمة وبها خزانة حائطية ولوحات معلقة على الجدران عليها صورة الأقصى وآيات قرآنية بالإضافة إلى العلم الجزائري يبيث في نفسه حنين العودة إلى بلده الأم». <sup>2</sup> فهذا الأثاث الذي في الغرفة يعكس مجموعة من القيم الاجتماعية، فاللوحات المعلقة على الجدران توحى إلى حبه لفلسطين وانتمائه للدين الإسلامي، والعلم الجزائري يرمز للروح الوطنية

<sup>1</sup> الرواية: ص 21.

<sup>2</sup> الرواية: ص 47.

وحب الوطن والشوق والحنين لبلده الجزائر. فهذا المكان يدل على الراحة النفسية والسكينة والطمأنينة والشعور بالأمن والاستقرار.

**الفندق:** فنجده هو المكان الوحيد "لعماد" بعد وصوله للبنان، الذي كان هدفه البحث عن الأمن والاستقرار، إلا أنه لم يجده في هذا الفندق الراقي حيث قال السارد « لم يكن عماد متحمسا للإقامة في الفنادق البيروتية، منذ أن طرق باب غرفته في الفندق الراقي الذي أقام فيه عند أول يوم من زيارته للبنان... وعندما فتح الباب ظهرت له امرأة تحاول إخفاء مظاهر الدمامة من وجهها... حاولت بصفاقة وجه أن تدخل غرفته بلا استئذان».<sup>1</sup>

من خلال هذا المقطع يمكننا اعتبار هذا المكان الوجه الآخر للواقع المزيف للفساد الذي ينحر جسد فلسطين ولبنان والأمة العربية، فقد استغل "مصطفى دالع" هذا المكان ليكشف عن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل ضد الشعب العربي، فقد كانت هذه المرأة تمثل إسرائيل التي تحاول احتلال الوطن العربي دون استئذان.

**المطعم:** هو الذي يعكس عادات وتقاليد الفلسطينيين في الأكلات الشعبية التي مازال هذا المكان محافظا عليها، فمن خلال وصف "حنين" لبعض الأطعمة التقليدية يتضح لنا تمسك هؤلاء بثقافتهم وأصالتهم، « أخذت حنين عماد إلى مطعم أبو عصام للأكل الشرقي في حارة السبع، فرغم أشياء كثيرة تغيرت منذ أزيد من عشرين سنة إلا أن هذا المطعم مازال محافظا على أكلاته الشعبية ذات الذوق الشامي المميز».<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الرواية: ص 48/47.

<sup>2</sup> الرواية: ص 171.

بالإضافة إلى هذه الأمكنة كانت هناك إشارات لأماكن عديدة وردت تسميتها في هذا الخطاب الروائي، والتي لم تكن مكانا مركزيا هاما في سير الأحداث، كشوارع بيروت ومكان انعقاد المؤتمر والمقبرة، والمكان الذي أجرى فيه عماد الحوار مع القائد.

يلاحظ من خلال الحديث عن الأمكنة بنوعيتها أن هذه الرواية لم تهتم بوصف الأمكنة وجمالياتها، بل اكتفت بتقديم ومضات سريعة وخاطفة عنها، ولعل ذلك يعود إلى التركيز على الفكرة المراد تبليغها للمتلقي وهي فضح الجرائم التي ارتكبتها ومازالت ترتكبها إسرائيل ضد الوطن العربي، فقد أدت هذه الأمكنة أدوارا هامة داخل الرواية، وساهمت في تشكيل وبلورة الأحداث.

ومن خلال هذه الدراسة تبين لنا أن للمكان دورا كبيرا في استحضار القضية الفلسطينية حيث نجده يتفاعل مع العناصر الأخرى التي تقوم عليها الرواية، فهو يتفاعل مع الزمان والشخصية والحدث، ونجد الكاتب يستنطق "فلسطين" من خلال شخصيات الرواية وأحداثها، فقد كان ارتباطه بهذا المكان من خلال ذاكرة "حنين" التي تسترجع المعاناة التي عاشها الشعب الفلسطيني ومازال يعيشها من دمار وخراب وظلم وتشريد وكل ما يتعلق بالمأساة الفلسطينية.

5/آليات توظيف الحوار:

المفهوم الحوار: هو عبارة عن خلاصة وافية شديدة التكتيف والتركيز من الكلام بين أطراف الرواية المشاركين فيها، أو بين الراوي وطرف آخر، فهو كلام منطوق لفظاً ومعنى، وليس شرطاً أن يكون بين المتحاورين، فقد يكون بين الشخصية وذاتها حيث ترد الشخصية إلى باطنها وعالمها الداخلي لتقاربه وتحاكيه وهذا ما يسمى بالحوار الداخلي أما الحوار الذي يكون بين الشخصيات يسمى بالحوار الخارجي.<sup>1</sup>

ب/آليات توظيفه :

أولاً: الحوار الخارجي (الديالوج): حفلت رواية "جراح الصمت" بمقاطع طويلة بهذا الحوار من بدايتها إلى نهايتها، وأغلبه كان يدور بين الشخصيتين الرئيسيتين "حنين" و"عماد" رغم أن الإيجاز مطلب أساسي من مطالب الحوار، إلا أن "دالع" خرق هذه القاعدة عن طريق الحوار المطول الذي اعتمد فيه الإطالة والإسهاب فيه طرحه لمختلف الأحداث وتحليلها وقلما نجد حواراً قصيراً ضمن شبكة من الحوارات الطويلة.

جاء الحوار في الفصل الأول من الرواية بين "حنين" و"عماد" حيث استرجعا فيه ذكرياتهما مع بعضهما عندما كانا يدرسان في الجامعة ثم تحدثا عن العدوان الإسرائيلي على "لبنان":

<sup>1</sup> محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي-دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبييل سليمان، ص248.

" صمت "عماد" ثم استرسل في الكلام:

\_ جئت إلى لبنان منذ الأسبوع الأول الذي بدأت فيه إسرائيل عدوانها على هذا البلد الجميل، فإسرائيل كان دوما عدوة للجمال، الغيرة ملأت قلبها فنفتت حقدتها المجنون على كل ما يرمز للحياة.

\_ كانت تستمع إليه باهتمام، فما حصل في لبنان أحمى القلوب، قالت بصوت خافت كمن يخشى أن يسمعه أحد :

مادامت إسرائيل جاثمة بين ظهر أنينا فلن ينعم العرب بالسلام أبدا".<sup>1</sup>

يستمر هذا الحوار الطويل بين هاتين الشخصيتين، وتأخذ فيه "حنين" الحيز الأكبر في حديثها عن نكبة 1967، وحرب أكتوبر 1973، والتي نقلت لنا هذين الحديتين بلغة بسيطة وأسلوب دقيق، استطاعت أن ترسم في ذهن القارئ صورة عن هذين الحريين بذكرها لأهم التفاصيل، لينتقل الحوار إلى لسان "عماد" عند حديثه عند الدور البطولي الذي لعبته الجزائر في حرب 1973، والذي كان منسيا ومقزما من قبل الدول العربية حيث يقول عندما سألته "حنين" عن دور الجزائر في هذه الحرب:

"\_ وماذا عنكم أنتم الجزائريين، أي دور كان لكم في هذه الحرب؟

\_ وعلى عكس ما كانت تتوقع فقد أعجبه سؤالها، ورد بابتسامة الواثق من نفسه

\_ كثيرون من حاولوا تقزيم دور الجزائر في هذه الحرب، ولكني أود أن ألفت انتباهك يا دكتورة، أن الجزائر تشاركت بخيرة أبنائها في حرب أكتوبر، وقدمت أجود ما لديها من سلاح لهزيمة العدو... فإسرائيل هي عدونا اللدود".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الرواية: ص29.

<sup>2</sup> الرواية: ص39/38.

فكانت وظيفة هذا المشهد الحوارى إبراز معلومات تاريخية حول حرب 1973 ومشاركة الجزائر في هذه الحرب بكل ما لديها، فقد استطاع الكاتب توصيل رسالته التي كانت منسية في الوطن العربي.

وفي الفصل الثاني من الرواية يدور الحوار بين "عماد" و"أبي العلاء" القائد الميداني لحزب الله، فالحوار هنا طويل نوعا ما حيث يستغرق تسعة عشرة صفحة، لكنه يكشف عن محاور عديدة تطرق إليها المتكلمان أولهما فضح المخططات اليهودية في لبنان عام 1982، والكشف عن العناد الذي يحمله حزب الله من أسلحة برية وبحرية وجوية والحوار الذي سنقله يكشف عن ذلك، فعندما رأى "عماد" الطائرات الصغيرة بدون طيار والمستعملة في التجسس يخاطبه "أبو العلاء" قائلا:

"\_ إن هذه الطائرات لم تستخدمه بكثافة في هذه الحرب رغم أنه بإمكانها حمل قنابل تزن عدة أرتال وكاميرات تجسس والتحليق لساعات ومسافات طويلة والوصول إلى غاية تل أبيب والعودة بسلام إلى قواعدها .

\_ قال له عماد مستعجبا :

\_ لم يبقى لكم سوى امتلاك زوارق حربية حتى تصيحوا جيشا عصريا متكاملا.<sup>1</sup>

رد عليه أبو العلاء بشيء من التحدي :

\_ ومن قال لك أننا لا نملك أسلحة على البحر؟

\_ فالعملية التي أسر فيها سمير القطار عميد الأسرى اللبنانيين تمت عبر البحر<sup>2</sup>

<sup>1</sup>الرواية: ص79.

<sup>2</sup>الرواية: ص82.

حيث تنقل أربعة مجاهدين في زورق صيد إلى شاطئ نهاريا في فلسطين المحتلة ودمروا سيارة شرطة إسرائيلية وقضوا على شرطي إسرائيلي".<sup>1</sup>

إن هذا الحوار طويل، وقد اضطررنا من أجل إظهار الفكرة إلى اقتباس جزء منه واستشهدنا بالجزء الأول لكي نوضح قوة حزب الله، وضخامة العناد الذي يحمله فقد أعطى هذا الحوار الفرصة "لأبي العلاء" بأن يقدم بعض التفاصيل عن قوة حزبه للمتلقي بنفسه.

وفي الفصل الثالث تظهر شخصية أخرى تحاور "عماد"، وهي شخصية "ببيه شرابي" رئيس تحرير جريدة "العرب" التي يعمل بها "عماد"، وكان هذا الحوار القصير يدور حول نشر الحوار الذي أجراه "عماد" مع "أبي العلاء" قائد حزب الله.

أما الفصل الرابع فيرجع الحوار إلى الشخصيتين الرئيسيتين "حنين" و"عماد" الذي يكشف لنا مشاعر كل منهما نحو الآخر من جهة، ويظهر مدى عشقهما للوطن من جهة ثانية، كما يكشف على مستواها الفكري والسياسي من جهة ثالثة؛ فالمتحاوران متفقان لإحياء الواقع وتجسيده فنيا، وقد كان موضوع حوار هذا الفصل يدور حول مجزرة شاتيلا، وكان القسط الأكبر منه من نصيب "حنين" وهذا لأن الموضوع يدور حول الفلسطينيين وباعتبارها عاشت هذه المأساة بقولها :

"\_ أتدري "عماد".. لقد ولدت وعشت طفولتي في لبنان ، في مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين وسط النار والدماء ..والدموع.

\_ تصمت قليلا وتتنهد كأنها تبتلع غصة ثم تواصل:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الرواية: ص 82.

<sup>2</sup> الرواية: ص 152.

\_ فتحت عيناى على رائحة الدخان وعلى الحرب الأهلية اللبنانية التي اندلعت في منتصف السبعينات، عندما فجر متطرفون "باصًا" كان ينقل لاجئين فلسطينيين..<sup>1</sup>

\_ سألها مستوضحا:

لماذا هجم المتطرفون المسيحيون اللاجئين الفلسطينيين؟.

\_ أجابت وعيناها مغرورقتان بالدمع:

\_ كانوا يرفضون توطين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان ..<sup>2</sup>

\_ قلت أنك ولدت في مخيم شاتيلا هل يعني أنك كنت من بين الناجحين من مجزرتين صبرا وشاتيلا؟.

\_ "أجل.."<sup>3</sup>

\_ يسألها عماد بلهفة :

\_ ماذا عنك كيف نجوت ؟

\_ لم أحتمل رؤية أمي وأخواي يقتلون جميعا أمامي فصرخت..،ورحت أجري باكية وسط النار والخراب دون أن أدري سبيلي حتى خارت قواي بعد أن تعثرت بغصن شجرة وسقطت أسفل وادي ..فأغمي علي ،وظن الجنود الصهاينة أنني قتلت بعد أن رأوا وجهي مغطى بالدماء"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> الرواية: ص 152.

<sup>2</sup> الرواية: ص 153.

<sup>3</sup> الرواية: ص 154.

<sup>4</sup> الرواية: ص 160.



**تصمت للحظة ثم تعود مستدركة :**

**\_ أما عني وجدني رجال الهلال الأحمر اللبناني ..، وكان والدي يعتقد بأنني استشهدت رفقة أمي وأخوأي لذلك لم يبحث عني ..، ولم أتمكن من الاتصال به إلا بعد ثلاث سنوات من المجزرة حيث شاهده في التلفزيون وترفت عليه".<sup>1</sup>**

وهكذا شكل الحوار السابق لوحة فنية استطاع الكاتب من خلالها أن ينقل حجم المعاناة التي عاشها الشعب الفلسطيني خارج وطنه، فلا تزال ملامح الحزن المرسومة على وجه "حنين" عند موت عائلتها في الحرب اللبنانية رغم مرور أكثر من عشرين سنة على هذه الحادثة، فقد كان هذا المشهد الحواري الطويل مرتكزا على قضية اللاجئين الفلسطينيين، ويطول على لسان "حنين" التي كان موقفها واضحا من الواقع الحزين الذي يشهد ظلما وقهرا ضد أبناء شعبها، حيث استطاعت أن تنقله بلغة مشعة بالألم والمعاناة تحت سلطة الاحتلال الإسرائيلي، وبطريقة فنية معبرة أثرت في نفس كل قارئ لهذا الحوار، وجعلته يعيش ذلك الماضي المؤلم.

ومن الملاحظ على هذا الحوار الذي تتخلله لغة وصفية تسرد لنا هيئة الشخصية ومدى تأثرها قبل أن تتطرق، ومدى انفعالها وتغير نبرة صوتها، ففي جملة **"أجابت وعيناها مغرورقتان بالدمع"<sup>2</sup>** يكشف لنا السارد عن هيئة "حنين" الحزينة قبل مواصلتها للحديث عن المجزرة التي عاشتها، وقد وظيفتها في تقوية الحوار بتوضيح حالة الشخصية ومدى تأثرها .

حفل الفصل الخامس من الرواية بمجموعة من الحوارات القصيرة التي دارت

بين "حنين" و"عماد" و"صاحب المطعم":

<sup>1</sup> الرواية: ص 161/162.

<sup>2</sup> الرواية: ص 153.

دخلا المطعم وصاحبه يببالغ بالترحاب بهما ..وسألها مرحبا ؟

\_ أهلا فيكم، كيف نكرمكم ؟

\_ قال له عماد له متريثا :

\_ ماذا لديكم .

\_ موجود كل شئ بتريدو، فطائر اللحم والقوزي، والشاورما الشامية، داوود باشا ،..والمارينا والفلافل والفتوش، والتبولة ...لم يكن "عماد" يعرف من هذه الأطعمة سوى الشاورمة المعروفة في الجزائر حتى لا يغامر باختيار وجبة غير شهية أشار إلى "حين".

\_ فابتسمت وقالت لصاحب المطعم:

\_ يزيد ثمن الشاورما شامية ،وطبق مارينا ،وآخرين من الفلافل بالإضافة بابا غنوش

\_ رد صاحب المطعم بكثير من الأدب والتواضع:

\_ أمرك يا ستي.<sup>1</sup>

إن مثل هذا الحوار إنما يكشف عن المستوى الثقافي والاجتماعي للشعب الفلسطيني ويتضح ذلك من خلال الإشارة إلى الطعام التقليدي، فالفلسطيني حريص على التمسك بهويته وثقافته رغم كل شيء، رغم الظروف القاسية التي يعيشها خارج وطنه.

وجاء الفصل الأخير حول الحوار الذي أجراه "عماد" مع قائد حزب الله والذي حقق نجاحا كبيرا في الوطن العربي، وفي الحوار الآتي ينكشف ذلك، والذي دار بين "عماد" و"رئيس التحرير".

<sup>1</sup> الرواية: ص 172/173.

" نزل خبر تأكيد قناة المنار القضائية إجراء قيادي من حزب الله لحوار يومية العرب على رئيس التحرير بردا وسلاما ..<sup>1</sup>، وأسرع إلى الهاتف ليهنئ "عماد" على هذا السبق الصحفي:

\_ ألو عماد

\_ ألو .. السلام عليكم

\_ وعليكم السلام ، لقد كنت رائعاً، حوارك حقق للجريدة في يوم واحد ما لم تكن تحلم في تحقيقه في سنوات

\_ ألم أقل لك ثق بي ودع كل شيء عليّ".<sup>2</sup>

فقد كشف لنا هذا الحوار عن الهدف الذي كان يسعى إليه "عماد" عند مجيئه للبنان فكانت وظيفته إبراز قدراته وثقافته في الوصول إلى مبتغاه.

بالإضافة إلى بعض الحوارات التي أجراها "عماد" مع مجموعة من رجال حزب الله حول الانتصارات التي قدمها هذا الحزب ضد العدو الإسرائيلي، والتي أتت إلى انسحاب إسرائيل من لبنان.

وهكذا فقد نجح الكاتب من خلال الحوارات الخارجية في كشف الواقع بما فيه من مرارة وظلم خداع، باستخدامه للغة الفصحى المبسطة والمرنة البعيدة عن المبالغة، حيث جاءت لغته مليئة بالقلق والتوتر والحزن ناقلة للواقع المأساوي الذي يعيشه الوطن العربي تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي، وفضح الجرائم التي ارتكبتها ضد الشعب الفلسطيني.

<sup>1</sup> الرواية: ص 173.

<sup>2</sup> الرواية: ص 192.

**ثانياً: الحوار الداخلي (المونولوج):** تشكل الذات النقطة المركزية التي ينطلق منها هذا الحوار وإليها يعود<sup>1</sup>، فهو حوار منطوق داخليا غير مسموع خارجيا؛ بمعنى أنّ العالم الخارجي الذي يحيط بالشخصية لا يدرك هذا الحوار وماهيته، وربما لا يشعر به إلاّ إذا كانت تعابير الشخصية وملاحمها الخارجية توحى بذلك.<sup>2</sup>

يلجأ الراوي لاستخدام هذا الحوار قصد الكشف عن أحوال الشخصية ومساعدة القارئ على فهمها أكثر، وجاءت هذه الحوارات في الرواية على لسان "عماد" تارة وعلى لسان "حنين" تارة أخرى، وكلها كانت تعبر عما يختلج في نفسية كل واحد منها اتجاه الآخر كما في الحوار الداخلي الآتي الذي جاء على لسان "عماد" والذي كان يخاطب فيه "حنين" كأنها معه، حيث انتزع من ذاته شخصية أخرى تحاوره:

"كان يخاطبها في نفسه وكأنها تقف أمامه:

اظهري على حقيقتك، على أنانيتك وغرورك، لم تستيقظ في نفسك مشاعر الشوق إلا بعد أن ذقت شيئا من طعم الثراء، فقاعة الشاي التي دعوتك إليها كانت من الفخامة ما جعلك تنتبهين بذكائك العاشق للمال .. تعتقدين أنني أجهل سرّك.."<sup>3</sup>

فقد عبرت هذه الشخصية من خلال هذا الحوار الداخلي عن الصراع الذي بداخلها والتي لم تستطع مواجهة "حنين" بهذا الكلام، فجعلتها أمامها وأفرغت ما يختلج نفسها ونجد حوارا آخر "حنين" تخاطب فيه نفسها قولها:

<sup>1</sup> محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي-دراسة في الملحة الروائية مدارات الشرق لنبييل سليمان، ص 257.

<sup>2</sup> المرجع نفسه: ص 258.

<sup>3</sup> الرواية: ص 101.

"تسأل حنين نفسها وهي مستلقية على فراشها الوثير في فندق الخمس نجوم متألمة المنديل .

هل يمكننا إصلاح ما انكسر؟ أن نعيد بناء أعلامنا من جديد بعد أن استكملنا تحقيق طموحاتنا في الدراسة والعمل والسكن؟ وراحت تمنى نفسها بعسل الوهم".<sup>1</sup>

فهي في هذا الحوار تتحدث مع ذاتها، فهي تعبر عن إحساسها بإعادة بناء حياة جديدة مع خطيبها السابق "عماد".

وهكذا أسهم الحوار والخارجي والداخلي في الرواية في الكشف عن طبيعة الشخصية ومستوى تفكيرها ونقلها للواقع، فهو يشكل جزءاً هاماً من الأسلوب التعبيري في إبراز سماتها النفسية، بالإضافة إلا أنه يكشف عن الصيغة التي اعتمدها الكاتب في وضع الحوار على لسان شخصياتها حيث اعتمد "دالع" الصيغ الاستفهامية المستندة إلى السؤال والجواب بين "عماد" و"حنين".

ومن خلال الحوار استطعنا التعرف على ماضي "حنين" ومعاناة الشعب الفلسطيني في مجزرة شاتيلا، حيث نقل الراوي على لسانها تفاصيل هذه المجزرة التي تُدمع عين كل قارئ لها، وتثير تعاطفه، وانكفاً أسلوب الحوار في هذه الرواية على ثنائية البساطة والوضوح، موظفاً بعضاً من الألفاظ العامية التي تخص اللهجة الفلسطينية وتجلى ذلك من خلال حوار مع صاحب المطع

<sup>1</sup> الرواية: ص 110.



خاتمة

يعد هذا البحث جزءاً من الدراسات الأدبية حول القضية الفلسطينية في الرواية العربية والتي حركت الوجدان العالمي، ومن بين النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا ما يأتي:

- ❖ أن أدب القضية الفلسطينية مستمد من الواقع الذي يعيشه الكاتب الفلسطيني حيث يدرجها في كتاباته ويدافع عنها، بتصويره للمأساة التي يعيشها شعبه فهو أدب ذو طابع إنساني.
- ❖ أن الرواية الفلسطينية مرآة عاكسة للواقع المرير الذي يعيشه الشعب الفلسطيني فكانت رواياتهم تحمل قضيتهم.
- ❖ أن الإنتاج الروائي قبل النكبة عرف تذبذباً وانقطاعاً، وبعد النكبة رأينا تصاعداً ملحوظاً في عجلة الرواية بفضل تحسن الأوضاع فأصبح شأنها شأن الرواية العربية في التطور.
- ❖ استطاعت الرواية العربية معالجة القضية الفلسطينية، ووضع القارئ موضع المأساة وكأن الروائي العربي عاش هذه المعاناة، حيث صور في رواياته الواقع المرير بمختلف أشكاله بما فيه من قهر وظلم وقتل وألم.
- ❖ تمكنت الرواية العربية من توثيق الأحداث، ورصد الآثار التي يحاول المحتل محوها فجاء ذكرها في الرواية درياً من دروب الحفاظ عليها ورسمها في خيال القارئ حتى تظل صورة فلسطين حاضرة في ذهنه.
- ❖ أن الكتاب الجزائريين من الأوائل الذين عالجوا هذه القضية، وعبروا عن إحساسهم بمأساة الشعب الفلسطيني، وتنبؤوا بخطر العدو الصهيوني، فاعتبروها قضيتهم ومن الروائيين الجزائريين الذين برز اسمهم مع فلسطين "واسيني الأعرج" والذي يطلق عليه "عاشق فلسطين"، فما من رواية إلا وأدرج موضوع فلسطين داخلها.



- ❖ كانت أحداث الرواية في الزمن الماضي، وتم استحضارها من طرف "حنين" لتجعلها حاضرة في ذهن المتلقي ومؤثرة في نفسيته.
  - ❖ أن بنية الزمان والمكان بنية ثنائية، فمن خلالها تجلت روح السارد الحاملة لقضية الوطن، الهم العربي، المصير الاجتماعي والإنساني.
  - ❖ أن الرواية تميزت بكثافة توظيف الاسترجاعات بصورة عامة، والتي كانت لها وظيفة في فهم الأحداث.
  - ❖ أن المكان الروائي أحد العناصر الفعالة في تلك الأحداث، فهو حامل لجملية من الأفكار والقيم الفكرية والاجتماعية والثقافية.
  - ❖ ساهمت الشخصيات الرئيسية في تطوير الأحداث وإبراز موقفها إزاء هذه الأحداث لتقابل اللحظة الراهنة بالزمن الماضي.
  - ❖ وظف "مصطفى دالع" القضية الفلسطينية، من خلال آلية الأحداث والشخصية والزمان والمكان، والحوار، حيث أظهرت الإجرام الإسرائيلي الظالم، والذي كان ضحيته الفلسطينيين أصحاب الحق.
  - ❖ رسم لنا ملامح الشخصية اليهودية المحتلة التي تتفنن بالقتل، وليس لها علاقة بالإنسانية لا من قريب ولا بعيد.
  - ❖ عبرت الرواية عن الوضع السياسي والاجتماعي الذي يعيشه الوطن العربي عامة والفلسطيني خاصة، جراء المأساة، وقد حاول الروائي عرض الواقع المرير من خلال رؤية أدبية وجمالية خاصة وبلغة فصحة بسيطة مشعة بالألم والحزن.
- وهذا ما توصلنا إليه بفضل الله وبفضل هذا الجهد المبذول.



## نبذة عن المؤلف:

"مصطفى دالع": كاتب صحفي، خريج كلية الإعلام والعلوم السياسية، عمل في عدة صحف جزائرية وعربية، صدر له كتاب في الاقتصاد بعنوان "جدلية الاستثمارات العربية في الجزائر"، كما قام بتحرير "مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين" للعقيد "الطاهر زيري"، والتي صدرت سنة 2008، ولديه عدة كتب تحت الطبع أو عبارة عن مخطوطات مثل: "السودان الذي رأيت: من أم درمان إلى دارفور والجنوب" "فرسان الصحافة"، "وتر الحنين: ذكريات الوطن والاعتراب".

## ملخص رواية "جراح الصمت" لمصطفى دالع:

تتدرج رواية "جراح الصمت" تحت ستة فصول والمعنونة بـ:

الفصل الأول: إنهم ينتحرون عندما يقتلوننا.

الفصل الثاني: قتلة الأطفال.

الفصل الثالث: حنين.

الفصل الرابع: دموع شاتيل.

الفصل الخامس: الوداع الأخير.

الفصل السادس: شموخ في زمن الانكسار.

ويبلغ عدد صفحاتها مائتان وثمانية عشرة صفحة.

تخوض هذه الرواية غمارها في ظل الاحتلال الإسرائيلي في المشرق العربي "لبنان وفلسطين" والذي نسج أحداثها الصحفي الجزائري "عماد"، حيث التقط بعدسته جميع مظاهر الحزن والألم والدمار، والقتل والفتك التي تعرض لها الشعب العربي، واستطاع أن ينقل مجموعة من الأحداث مفادها احتلال الأمريكان للعراق، والمجازر المرتكبة في حق الشعب العربي واختطافهم للصحافيين العرب، ووصولهم إلى الأراضي اللبنانية محاولين تدميرها والقضاء على حزب الله، بالإضافة إلى ذلك ذكر لنا "عماد" حدثين تاريخيين مهمين عن القضية الفلسطينية، نكبة 1967، وانتصار إسرائيل على العرب

ليأتي الرد في حرب أكتوبر 1973، ويكشف لنا عن الدور البطولي للجزائر في هذه الحرب.

أما الفصل الثاني نقل لنا المجازر المرتكبة في حق أطفال لبنان، حيث صور معاناة الطفل الصغير ابن القائد الميداني لحزب الله، بعد أن أصيب في حرب لبنان، ثم يأتي لقاء عماد بأبي العلاء والذي كان مفعما بالأحداث التاريخية من بينها: الانتصار على الجيش الإسرائيلي عام 2000، وانهزام الجيش الإيراني أمام الولايات المتحدة الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى حديثه عن المعدات العسكرية التي يحملها حزب الله.

ويأتي الفصل الثالث حاملا معه ذكريات "حنين"، والتي بدورها تتذكر ماضيها مع "عماد" عندما كانا يدرسان معا في الجامعة، أما الفصل الرابع فقد افتتحه "دالع" بالحديث عن مؤتمر إعادة إعمار لبنان بعد الحرب والذي انعقد في بيروت، وما تضمنه من آراء وتصريحات حول المساعدات التي قدمها الوطن العربي للبنان، لينتقل إلى الحديث عن المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني خارج دياره، حيث نقل لنا على لسان "حنين" أبشع مجزرة، وهي مجزرة شاتيلا والتي انتقم فيها اليهود من الفلسطينيين خاصة ومن العرب عامة، والتي قتل فيها أكثر من ألفي فلسطيني ولبناني في يوم واحد، لتسترجع "حنين" معاناتها مع عائلتها التي فقدتها في هذه المجزرة، ليتحدث في الفصل الخامس عن مخيم شاتيلا للاجئين الفلسطينيين الذي توجه إليه "عماد" مع "حنين" لزيارة المقبرة للترحم على والدتها وأخويها بالإضافة إلى زيارتهم للمطعم الذي تم فيه التعرف على مجموعة من الأكلات الشعبية الفلسطينية ومقارنتها بالجزائرية.

وجاء الفصل الأخير حول نجاح الحوار الذي أجراه "عماد" مع "أبي العلاء"، ووصفه رحلته إلى "مارون الراس" القرية القريبة من الحدود الفلسطينية لتغطية الدمار الذي لحق بها جراء الحرب، ويلتقي بمجموعة من رجال حزب الله، ليطلعوه عن الهزائم التي أحقوها بإسرائيل، ومدى قوتهم لقهر هذا العدو الظالم.

أولاً: المصادر:

1. مصطفى دالع: جراح الصمت، دار المعرفة، د.ط، الجزائر، 2011.

ثانياً: المراجع العربية:

2. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب،

ط3 الجزائر، 2007

3. أحمد أبو مطر: الرواية في الأدب الفلسطيني (1950-1975)، المؤسسة

العربية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 1980.

4. بشير عبد العالي: تحليل الخطاب السردي والشعري، دار الغرب، ط1، الجزائر

د.ت.

5. حسام الخطيب: ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية، منظمة التحرير

الفلسطينية ط1، تونس، 1990.

6. حسان رشاد السامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، اتحاد الكتاب العرب، ط1

سوريا 1998.

7. حميد حميداني: بنية النص السردي من المنظور النقدي الأدبي، المركز

الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1991.

8. خليل بيدس: مسارح الأذهان "مجموعة أدبية فنية روائية في حقيقة الحياة"

المطبعة العصرية، (د.ط)، مصر، 1924.

9. سامي سويدان: فضاءات السرد ومدارات التخيل-الحرب والقضية والهوية- في الرواية العربية، دار الآداب، ط1، لبنان، 2006.
10. شكري عزيز الماضي وآخرون: معالم الحياة الأدبية في فلسطين والأردن، دار فارس النشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2009.
11. شكري عزيز الماضي: الرواية العربية في فلسطين والأردن في القرن العشرين مع بيليوغرافيا، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003.
12. صالح خرفي: الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د.ط)، الجزائر، (د.ت).
13. عبد العزيز السبيل وآخرون: الأدب العربي الحديث -تاريخ كيمبرج للأدب العربي - النادي الأدبي الثقافي، ط1، المملكة العربية السعودية، 2002.
14. عبد القادر القط: في الأدب العربي الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ط1، مصر، 2001 .
15. عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1982.
16. عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي ط1، الجزائر، (د.ت).
17. غسان كنفاني: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968.



18. ماجدة حمود: النقد الفلسطيني في الشتات، مؤسسة عيال للدراسات والنشر ط1، دمشق، سوريا، 1992.
19. محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: الكون الروائي-قراءة في الملحمة الروائية، الملهاة الفلسطينية ل: ابراهيم نصر الله-، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1 لبنان، 2007.
20. محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي-دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان، ط1، الأردن، 2012.
21. محمد عزام: فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان) دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 1996.
22. مصطفى عبد الغني: نقد الذات في الرواية الفلسطينية، سينا للنشر، ط1 مصر، 1993.
23. مصطفى محمد السيوفي: تاريخ الأدب العربي الحديث، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، ط1، مصر، 2008.
24. نضال الصالح: نشيد الزيتون-قضية الأرض في الرواية العربية الفلسطينية- اتحاد الكتاب العرب ، ط1، دمشق، سوريا، 2004.
25. هادي دانيال: فلسطين المبدعة -قراءة في الإبداع الفلسطيني، دار نقوش العربية ط1، تونس، 2009.
26. ياسين كتابي: موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، مجمع القاسمي، ط1، 2011.

### ثالثا: المراجع المترجمة:

27. جيرار جينيت: خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وعبد الجليل وعمر حلى، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط2، 1997.

### رابعا: الدوريات:

28. مجلة أقلام الثقافية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1979  
العدد 10.

29. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2005  
العدد 07.

### خامسا: الرسائل الجامعية:

30. حسين محمد حسين الصليبي: الرواية الفلسطينية وتجلياتها الفنية والموضوعية في الأرض المحتلة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والنقد والبلاغة، إشراف يوسف موسى رزقة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، فلسطين، 2008.

31. عمر سعيد عبد الجبار القزك: الشعراء الروائيون في فلسطين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص اللغة العربية وآدابها، إشراف: د. عادل الأسطة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2014.

32. هيفاء حامد سند العصيمي: القضية الفلسطينية بين الروايتين العربية والإنجليزية المعاصرة-دراسة مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والنقد والبلاغة، إشراف: د.ناصر شبانة وعفاف جميل خوقير، قسم اللغة العربية والإنجليزية كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2013.
33. وئام رشيد عبد الحميد ديب: تقانات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين من عام 1994-2006، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب والنقد إشراف: د.نبيل خالد أبو علي، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، 2010.

### سادسا: مواقع الانترنت:

34. أميرة أحمد: روايات كتبت بدم فلسطين...من أجل فلسطين [www.arageek.com](http://www.arageek.com)، 10/03/2016، 19:25.
35. محمد بوعزارة: واسيني عاشق فلسطين...، [www.djazairess.com](http://www.djazairess.com)، 2016/03/10، 19:35.
36. أسماء.ص: المتحرر من سلطة السواد..حكاية فلسطينية من الجزائر [www.echababonline.com](http://www.echababonline.com) ، 2016/03/10 ، 19:50.

المحتوى	الصفحة
مقدمة.....	أ - ج
<b>الفصل الأول: القضية الفلسطينية في الرواية العربية.</b>	
1/أدب القضية الفلسطينية.....	6
2/التنظير للفن الروائي في فلسطين.....	13
3/الإنتاج الروائي في فلسطين.....	21
4/القضية الفلسطينية في الرواية العربية.....	25
5/القضية الفلسطينية في الرواية الجزائرية.....	33
<b>الفصل الثاني: توظيف القضية الفلسطينية في رواية "جراح الصمت" لمصطفى دالع.</b>	
1/آليات توظيف الأحداث.....	43
أ/ مفهوم الحدث.....	43
ب/ آليات توظيفه.....	43
2/ آليات توظيف الشخصيات.....	51
أ/ تعريف الشخصية الروائية.....	51
ب/ آليات توظيفها.....	51
3/ آليات توظيف الزمان.....	62

## فهرس الموضوعات

67.....	4/ آليات توظيف المكان
67.....	أ/ تعريف المكان
67.....	ب/ آليات توظيفه
73.....	5/ آليات توظيف الحوار
73.....	أ/ تعريف الحوار
73.....	ب/ آليات توظيفه
84.....	خاتمة
<b>ملحق</b>	
87.....	نبذة عن المؤلف
88.....	ملخص رواية "جراح الصمت"
91.....	قائمة المصادر والمراجع

سلطت هذه الدراسة الضوء على القضية الفلسطينية في رواية "جراح الصمت" لـ: **مصطفى دالع**؛ باعتبارها قضية تاريخية ورؤية تتدرج في الثقافة وتجاوز وعي القارئ وتترك أثرها فيه، هذا الأثر تجسد في الرواية من خلال: الأحداث والشخصيات والزمان والمكان والحوار، كل هذه الآليات مجتمعة أعطت بعدا للقضية الفلسطينية في الرواية. وعلى هذا الأساس قسمت بحثي إلى فصلين تسبقهما مقدمة، حيث تناولت في الفصل الأول القضية الفلسطينية في الرواية العربية، بينما الفصل الثاني خصصته لتوظيف هذه القضية في رواية "جراح الصمت"، وختمت البحث بخاتمة ملمة بأهم النتائج المتوصل إليها.

## Résumé

Cette étude jette de lumière sur la cause palestinienne dans le roman "**Les blessures du silence**" pour : "**Mustafa Dalae**" comme une question historique et une vision incluse dans la culture et le dialogue de la conscience du lecteur et son impact sur lui, cet impact se présent dans le roman par le biais des événement, des personnages, du temps, du lieu et du dialogue. tous ces mécanismes combinés ont donné une dimension de la cause palestinienne dans le roman.

Sur cette base, nous avons divisé notre étude en deux chapitres précédés par une introduction. Dans le premier chapitre, nous avons traité la cause palestinienne dans le roman arabe. Pour le second chapitre, nous l'avons consacré à l'utilisation de cette cause dans le roman "**Les blessures du silence**". Nous avons conclu cette étude avec une conclusion qui englobe les plus importants des résultats obtenus.